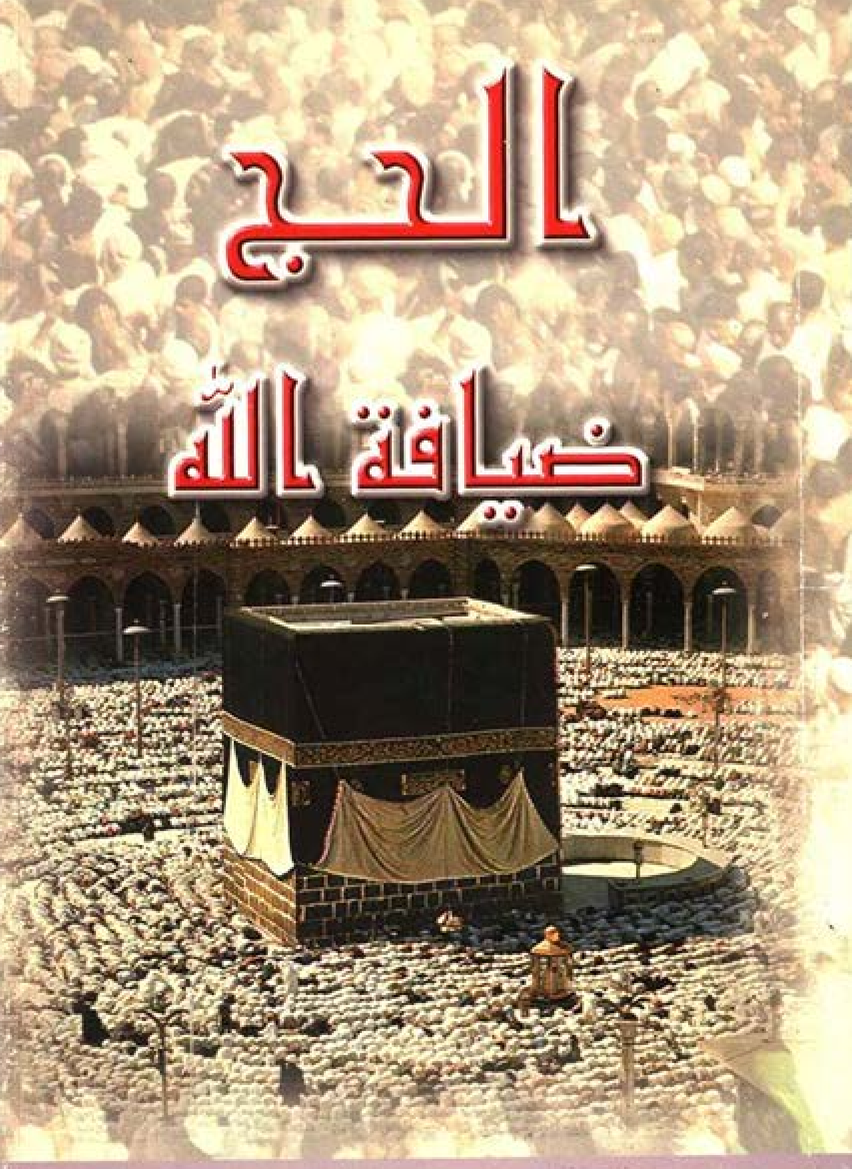


آية الله السيد محمد تقي المدرسي

آية اللـه السيد محمد تقي المدرسي

الحج

ضيافة الله



مدرسي، محمّدتقي، ۱۹٤٥ -
الحجّ ضيافة الله / محمّدتقي المدرسي - طهران: دار محبّي الحسين (ع) ۱۹۹۹م = ۱٤۱۹ق = ۱۳۷۷.
۹٦ ص.
ISBN 964-5648-23-8: ۲٥۰۰ ريال
فهرستنويس بر اساس اطلاعات فيپا (فهرستنويس پيش از انتشار).
عربى
كتابنامه به صورت زيرنويس.
۱. حج. ۲. حجّ - احاديث. الف. عنوان
۲۹۷/۳٥۷ BP ۱۸۸/۸/ ۳ح۳٤٥م
كتابخانه ملى ايران ۱٥٤۹۱-۷۷م

الحجّ ضيافة الله
المؤلف: آية الله السيّد محمّدتقي المدرسي
الناشر: دار محبّي الحسين عليه السلام
الطبعة الأولى: ۱٤۱۹ هـ. ق - ۱۹۹۹م
عدد النسخ: ۲۰۰۰
السعر: ۲٥۰۰ ريال
العنوان: طهران - شارع كريمخان زند
شارع بهآفرين - الفرع الرابع - دار رقم ٥۲ - هاتف ٦٤۰۷٤۳٥

ISBN 964 - 5648 - 23 - 8	شابك ۸-۲۳-٥٦٤۸-۹٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾

(البقرة/١٩٧)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدمة

على الرغم من ان مكة المكرمة لم تحيطها البساتين الزاهرة والحقول الخضراء، و لم تتزين بانهار جارية كالنيل والفرات، و لم تعش طقساً لطيفاً من حيث المناخ .. بل هي واقعة بين جبال وعرة، وتحيطها صحاري قاحلة، وان حرارة الشمس فيها تجعل من رمال الصحراء ناراً تلتهب .. مع ذلك تجد المسلمين من كافة أقطار العالم يسعون جهدهم كل عام ليحضروا في هذه البقعة المباركة، ليؤدوا مناسك الحج، التي دعاهم الله تعالى إليها في قوله للنبي ابراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج/٢٧-٢٨)

وثمة سؤال كثيراً ما يراود البعض، وهو: لماذا الاصرار على المشاركة السنوية في موسم الحج، حتى ان البعض حضر الموسم أكثر من عشر

مرات، ولا زال يريد الحضور أيضاً، في حين ان الواجب في اداء هذه الفريضة يكفي ان يحج الانسان مرة واحدة؟

بغض النظر عن اداء الواجب من مناسك الحج، الحق لابد من القول ان الحضور في هذا الموسم انما يبعث في الانسان روح الايمان والتقرب الى الله تعالى، كما وان الانسان يكتشف نفسه من خلال اعمال الحج..

وحينما يدخل الحاج في ضيافة الله، يعيش الاطمئنان والراحة النفسية، ويدخل عليه السرور من حيث لايحتسب.. لذا تجده يقاوم حرارة الطقس بكل بساطة، ويتكيف بتواجده في مهرجان الحج المليوني دون أي ضجر من زحمة الحضور، ويتجاوز مشاكل السفر من سكن ووسائط نقل وما الى ذلك بكل رضى ..

فكل الصعاب التي تعترضه تصبح في عينه امور سهلة، وكل مرارة تصيبه تضحى في فمه حلاوة.. لانه كله يقين ان الأجر على قدر المشقة فلا يأبه بالمشقة مهما تعاظمت، ولايبالي بالصعاب مهما كثرت..

وبالتأكيد كل من يعرف عظمة الحج وقيمته، وميزاته وفوائده.. تجد قلبه يتطاير شوقاً للمشاركة في الحج وروحه تتلهف للحضور في هذا الموسم، وان كان ذلك يكلفه الغالي والنفيس.

ومن خلال متابعتنا لمحاضرات سماحة آية الله السيد محمد تقي المدرسي، وجدنا أحاديثه في خصوص الحج تزيد المرء معرفة وهدى، وتفتح له آفاق الخير والعمل الصالح.. مما تجعله لا يتوانى عن اللحوق بركب الحجاج.

هذا ما دعانا الى جمعها وتحريرها لنقدمها لقراءنا الاعزاء في كتاب، آملين ان ينالوا منه نفعاً كثيراً، والله ولي التوفيق.

القسم الثقافي

في مكتب آية الله السيد محمد تقي المدرسي

طهران ١١/ ربيع الاول /١٤١٩هـ


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شذرات من الاحاديث

أحب الى الله تعالى:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " أحب الارض الى الله تعالى مكة، وما تربة أحب الى الله عز وجل من تربتها، ولا حجر أحب الى الله من حجرها، ولا شجر أحب الى الله من شجرها، ولاجبال أحب الى الله من جبالها، ولاماء أحب الى الله من مائها "(١).

من معطيات الحج:

قال الامام علي بن الحسين عليهما السلام: " حجّوا واعتمروا تصحّ أبدانكم، وتتسع أرزاقكم، وتكفون مؤونات عيالكم " (٢).

من ختم القرآن بمكة:

قال الامام أبو جعفر عليه السلام: "من ختم القرآن بمكة لم يمت حتى

(١) وسائل الشيعة/ج٩/ص٣٤٩/كتاب الحج-ابواب مقدمات الطواف وما يتبعها.

(٢) الفروع من الكافي/ج٤/ص٢٤٠.

يرى رسول الله صلى الله عليه وآله ويرى منزله من الجنة " (١).

تسبيحة بمكة:

قال الامام علي بن الحسين عليه السلام: " تسبيحة بمكة أفضل من خراج العراقين ينفق في سبيل الله"(٢).

النظر الى الكعبة:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " من أيسر ما يعطى من ينظر الى الكعبة أن يعطيه الله بكل نظرة حسنة، وتمحى عنه سيئة، وترفع له درجة " (٣).

الجنة ثواب الحج:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " الحج ثوابه الجنة، والعمرة كفارة كل ذنب " (٤).

من حجّ البيت:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " (٥).

الحجاج على ثلاثة اصناف:

---

(١) وسائل الشيعة/ج٩/ص٣٨٣/كتاب الحج-ابواب مقدمات الطواف ومايتبعها.

(٢) المصدر/ج٩/ص٣٨٢.

(٣) المصدر/ص٣٦٧.

(٤) مستدرك الوسائل/ج٨/ص٧.

(٥) المصدر/ص٤١.

قال الامام أبو عبد الله عليه السلام: " الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف؛ صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، وصنف يحفظ في أهله وماله، فذلك أدنى ما يرجع به الحاج " (١).

استبشروا بالحاج:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: " يا معشر من لم يحج استبشروا بالحاج وصافحوهم وعظموهم، فان ذلك يجب عليكم تشاركوهم في الأجر " (٢).

لمن يعوق اخاه عن الحج:

قال الامام الصادق عليه السلام : " ليحذر أحدكم أن يعوق أخاه عن الحج، فتصيبه فتنة في دنياه، مع ما يدخر له في الآخرة " (٣).

من مات ولم يحج:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من مات و لم يحج حجة الاسلام، و لم تمنعه حاجة ظاهرة، أو مرض حابس، او سلطان ظالم، فليمت على أي حال شاء، ان شاء يهودياً أو نصرانياً " (٤).

---

(١) الفروع من الكافي/ج٤/ص٢٥٤.

(٢) المصدر/ص٢٦٤.

(٣) مستدرك الوسائل/ج٨/ص١٧.

(٤) المصدر/ص١٩.

جوهرة الايمان

مظاهر الحياة وظواهرها تتصل بجواهر معدودات، وكل جوهر تتصل به مئات الظواهر والمظاهر. واولوا الالباب وهم العقلاء الحكماء من البشر ، هم الذين ينفذون ببصيرتهم الى جوهر الحقائق ، ولا يقفون عند المظاهر السطحية التي لا تغني ولا تسمن من جوع. مثلاً؛ نحن ندعو الله تعالى دوماً ان يرزقنا العافية ، بتمامها وشمولها ودوامها ، ولكن نتسائل : ما هي العافية ؟

العافية هي ان تكون بُنية الانسان الاساسية سالمة ، فحتى لو طرأ مرض من الامراض على هذا الانسان ، فان هذا المرض سرعان ما يتلاشى ويتبدد ويعود الجسم بكامل صحته . اما اذا كانت بُنية هذا الانسان ضعيفة ، فإن العافية لا تزوره. فلا يكاد يتخلص من مرض . إلاّ ويبتلى بمرض آخر. اذن نحن يجب ان نبحث عن جوهر العافية وليس فقط عن مظاهرها الخارجية .

هـذا في الانسان كفرد ، كذلك في المجتمع ، فبعض المجتمعات مثلاً تجدها مبتلاة بعشرات الاخلاقيات السلبية السيئة والعياذ با لله من قبيل الكبر ، والرشوة ، والدجل ، والازدواجية ، والخيانة ، وعصيان من هو اكبر ، وظلم من هو اصغر ، والتفكك الاسري، وغيرها من الاخلاقيات السيئة .

ونتساءل : ما هو الخلق الفاضل في المجتمع ؟

ويجيب علماء الاجتماع؛ بان اساس الخلق الفاضل في المجتمع، هو إيمان ذلك المجتمع بالاخلاق بانها السبيل لسيرته في الحياة. فالمجتمع الذي يتمتع بالخلق الفاضل، هو المجتمع الذي يملك جوهر الاخلاق. بينما المجتمع الذي يفقد ذلك هو المجتمع الذي لا يعتمد الاخلاق منهجاً ، ولا يتمسك بالآداب طريقاً ، ولا يهتم بالجوهر الذي امر ا لله سبحانه وتعالى به .

لذلك مثل هذا المجتمع اذا تكلمت معه عن مفردات الاخلاق ، وارشدته الى السليم منها ونبهته الى السقيم منها ، فأنه لاينتفع بذلك، لان المشكلة ليست مشكلة المصاديق والمفردات ، وانما المشكلة هي ان هذا المجتمع طبيعته اللاإلتزام والا اهتمام واللاتأدب ، لذلك تجد ان كل المفاسد الاجتماعية متراكمة فيه .

الايمان جوهرة وتجليات :

قد نتحدث عن الصلاة وعن الصوم وعن الصدق وعن الوفاء وعن

سائر الواجبات التي امر الله سبحانه بها ، ولكن كل تلك انما هي مفردات الايمان وتجلياته ومصاديقه. اما الايمان فهو شيء آخر .

فإذا كان الايمان ضعيفاً ، فإن كل هذه المصاديق تكون ضعيفة. فحتى لو صلى ، فإن صلاته لا روح فيها. فهو يسهى عنها ، وبالتالي لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، ولا تأمره بالعطاء والانفاق للمساكين. لذلك فإن الصلاة التي لا خشوع فيها ، انما هي ويل على صاحبها ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (الماعون/٤-٥)

فبدلاً من ان تكون رحمة ، تكون ويلاً. وكما الصلاة كذلك سائر الواجبات التي قد يؤديها الانسان بصورة آلية.

ان المجتمع الناهض، هو المجتمع الذي تكون جوهرة الايمان فيه جوهرة نقية، صافية، حقيقية، اما المظاهر فليست مصاديق. فقد نجد مجتمعاً من المجتمعات كمجتمع الكوفة في زمن الامام الحسين عليه السلام يقيم الصلاة بوقتها، ولكنه يجتمع مع ذلك على قتال حقيقة الصلاة وجوهرها ورمزها وامامها، أبا عبد الله الحسين عليه السلام.

ان جيش الكوفة بقيادة عمر بن سعد ، اقام صلاة المغرب والعشاء ليلة عاشوراء ، وكذلك صلاة صبح يوم العاشر من المحرم ، ولكن اية صلاة كانت تلك؟! انها الصلاة التي يصدق عليها قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ . ويل لهذا الانسان الذي يصلي بهذه الصلاة ، التي هي شرك وتصدية ومكاء . ان صلاته بدل ان تكون معراجاً الى الله سبحانه

وتعالى، فإنها تكون وزراً عليه.

الحج جوهرة الايمان :

الحج من الفرائض الدينية التي تزيد جوهرة الايمان في الفرد ، وكذلك في المجتمع. فالمجتمع الذي يبعث بوفده الى الرحمن سبحانه وتعالى، هذا المجتمع تزداد فيه جوهرة الايمان وحقائقه، وليست فقط مظاهره. ذلك ان الحج ليس ذا جانب فردي فقط ، وانما هو عبادة فردية واجتماعية .

فالانسان منذ ان يخرج من بيته متوجهاً الى ا لله سبحانه، وملبياً داعي ا لله، فإن الملائكة منذ تلك اللحظة تحف به، ويكون قلبه يخفق بالايمان ، وينبض بالتقوى ، ولا يواجه في طريقه صعوبة او مشكلة او أذاً ، إلاّ وتسجل له بذلك حسنة.

ان هذا الانسان هو في ضيافة ا لله، محفوفاً بملائكة ا لله، الى ان يذهب الى التلبية .. "لبيك اللهم لبيك .. لا شريك لك.." وهنا لك يستجيب ا لله سبحانه وتعالى له، لانه ضيف عند اكرم المضيفين.

وهكذا فإن هذا الانسان منذ لحظة خروجه من بيته حاجاً ، الى ان يصل الى الميقات ، ومن الميقات الى مكة المكرمة .. الى ان يكون في وادي عرفة ، فإذا كان ظهيرة يوم عرفة في ذلك الواد ، فإن ا لله سبحانه يخاطبه، ويقول له عبدي : " قد غُفر لك ، وطهرت من الدنس، فاستقبل واستأنف العمل ". (١)

---

(١) بحار الأنوار/ج٩٦/ص٢٦٢.

وكما جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ".. فقال أبي عليه السلام : ما وقف بهذا الموقف -عرفات- أحد من الناس من مؤمن ولا كافر إلاّ غفر الله له ". (١)

فهذه الاوراق التي طلاها الحاج بالسواد باعماله السيئة في كل حياته، تتساقط عنه وتزول ، ويفتح صفحة جديدة ، ويكون كيوم ولدته أمه. ولكن المشكلة هي بمجرد خروجه من عرفات، لان الشيطان يلحقه مرة اخرى، كما جاء في الحديث الشريف، لذلك فإن الكثير من المؤمنين يتمنون الموت في تلك اللحظة، ويدعون الله بذلك .

روي ان الحج افضل من الصلاة والصيام ، لان المصلي انما يشتغل عن أهله ساعة ، وان الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم ، وان الحاج يشخص بدنه ويضحي نفسه وينفق ماله ويطيل الغيبة عن أهله لا في مال يرجوه ولا الى تجارة . (٢)

ذلك ان الحاج يواجه في الحج تلك الصعوبات؛ في عرفات، وعند الجمرات، او في الطواف.. وقد يواجه هناك الموت من شدة الحر والزحام، فهو حاسر الرأس امام اشعة الشمس اللاهبة، وهو هناك ليس فقط لا يجوز له ان يزاحم أحد او يدفعه ، بل حتى الجدال بالحق لا يجوز له ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ

---

(١) بحار الأنوار/ج٩٦/ص٢٤٩.

(٢) وسائل الشيعة/ج٨/ص٧٨.

﴿وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة/١٩٧)

فهو لا يستطيع ان يقول لا وا لله، بلى وا لله. فهناك تسليم مطلق لله عز وجل.

فالمجاهد اذا يقتل فهو قد قاتل وقَتل وقُتل، اما الحاج فانه إن مات مات بدون ان يدافع عن نفسه ، ولو كان يدافع عن نفسه لربما لم يمت . وهذا التسليم المطلق يربي في الانسان جوهرة الايمان ويصقلها ويصبغ حياته صياغة ايمانية جديدة .

خصائص الحج الاجتماعية :

لو نظرنا الى الحجاج وهم يطوفون حول البيت الحرام ، وسألناهم من أي البلاد هم ، لوجدنا انهم قد اجتمعوا من كل بلد ، قرب او بعد. ولو اخذنا مثلا الف حاج كعينة ، لوجدنا ان كل واحد من هولاء ربما هو من منطقة تختلف عن مناطق الاخرين. وهذا يزيد ايمان الامة بنفسها وبقيمها وبكتابها وبرسولها ، وبالتالي با لله سبحانه وتعالى.

لذلك جاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام انه اذا الكعبة اهملت ، فلا يُنظرون. أي ان الامة الاسلامية كلها ستدمر وتزول. فبقاء الامة ببقاء الناس حول الكعبة .

لقد جعل ا لله سبحانه الكعبة هدى ورحمة وبركة للامة الاسلامية جميعاً وفي كل منطقة من المناطق ، حتى البعيدة منها. فالامة انما تعيش بالكعبة . لذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ

﴿الْبَيْتِ﴾ أي قلنا لابراهيم .. يا ابراهيم هنا مكان البيت **﴿أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾** من هذا نستفيد؛ ان هناك علاقة بين بيت الله الحرام، وبين التوحيد في المجتمعات .

ثم قال ربنا عز وجل: **﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾** (الحج/٢٦-٢٧)

لقد جاء ابراهيم عليه السلام بزوجته هاجر وطفله الصغير اسماعيل ، وتركهم في تلك الارض القاحلة بين الجبال بأمر الله سبحانه وتعالى، والذي امره ايضاً بأن يذهب الى اعلى جبل قُبيس ويدعو الناس للحج ..

وحينما قال ابراهيم : يا رب؛ لمن ادعو، فليس هناك احد في هذا الوادي ، وبين هذه الجبال التي ليس فيها ماء ولا كلاء . جاءه الجواب: ان يا ابراهيم عليك الاداء وعلينا البلاغ .

وهكذا صعد ابراهيم ذلك الصديق الى اعلى جبل قُبيس ونادى: ايها الناس؛ هلموا للحج.. وكما جاء في الحديث عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام قال: " لمّا أمر الله عز وجل ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ببنيان البيت وتمّ بناؤه أمره أن يصعد ركناً ثم ينادي في الناس : ألا هلمّ الحج، فلو نادى هلمّوا الى الحج لم يحجّ إلاّ من كان يومئذ إنسياً مخلوقاً، ولكن نادى هلمّ الحج، فلبّى الناس في اصلاب الرجال: لبيك داعي الله لبيك داعي الله، فمن لبّى عشراً حج عشراً، ومن لبّى خمساً

حجّ خمساً، ومن لبّى أكثر فبعدد ذلك، ومن لبّى واحداً حج واحداً، ومن لم يلبّ لم يحج ". (١)

لذلك ترى الناس حين يأتي موسم الحج ترى قلوبهم تتلهف للحج ، واذا بالامور تتهيأ لبعضهم فيوفقون للحج ، ولا تتهيأ للبعض الاخر فلا يتوفقون. وهذا التوفيق، انما جاء منذ ذلك اليوم .

بعد ذلك قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾

ان الحج ليس مجرد عبادة فردية ، وانما اضافة الى ذلك هي عبادة تتصل بالحياة وبتطوير الامم. فقد جعل الله سبحانه ارض مكة منطقة حرة اعطاها حرمة كاملة ، هو سماها البيت الحرام الذي لا يحق للانسان فيه ان يتجاوز ويعتدي على أي شيء ، حتى النملة اذا كانت على بدنه فلا يحق له ان يأخذها ويرميها على الارض ، وانما عليه ان يضعها في مكان أمين ، وحتى الطير لا يحق للحاج ان يكشه. لذلك تجد ان كل شيء هناك آمن .

وكما يقول الشاعر العربي قبل الاسلام النابغة الذبياني :

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين العين والسلم

أي قسما برب الذي اعطى اماناً لهذه الطيور العائذة ، التي يمسح على ظهرها المسافرون الى مكة ، وهي بين تلك الاحطاب وتلك الشجيرات البرية التي تسمى بالعين والسلم .

---

(١) بحار الأنوار/ج١٢/ص١٠٥.

البيت الحرام ، والمسجد الحرام ، المشعر الحرام ، ماذا يعني ذلك ؟ انه يعني الحرية ، بل اقصى انواع الحرية . فهناك يجوز للانسان ان يتحدث بكل صراحة ، ولا يحق لاحد ان يعتدي على احد .

وبالرغم من ان هذه الآيات الكريمة لم تطبق بالصورة الكاملة، الا ان ما طبق منها حتى الان في المسجد الحرام افادت الامة الاسلامية فائدة كبيرة.

ان الحج ينضح كل عام في الامة الاسلامية تياراً من الامل والايمان والتحدي للمشاكل الى ابعد الحدود. وهذا التيار علينا ان نستزيد منه عبر تطهير انفسنا والذهاب الى الحج وقد ادينا كل الحقوق والواجبات التي علينا من قبل الله والناس ، وخصوصاً حقوق الارحام. وبذلك نزداد في الحج طهراً ونقاءاً وايماناً بإذن الله .

ثم ان علينا ان نبرمج لحجنا ، فخلال الايام التي يقضيها الحاج في ضيافة الرحمن عز وجل ، علينا ان نستفيد من تلك الساعات بأقصى قدر ممكن من الاستفادة بذكر الله عز وجل، وبتلاوة القرآن. ففي الحديث الشريف: " من ختم القرآن في مكة لم يمت حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وآله ويرى منزله من الجنة ". (١)

ثم الدعاء والتبتل لرب العزة، والدعاء لاخواننا المؤمنين، ولذرياتنا، ولقضاء حوائجنا لدنيا والآخرة، انه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

---

(١) وسائل الشيعة/ج٩/ص٣٨٢.

محطّة التقوى

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَآ أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (البقرة/١٩٧)

تختصر الآية الكريمة أعلاه احكام الحج وفلسفته، كما تمنح الحاج بصيرة نافذة عن كيفية الحج، وبماذا يمكن أن يعود به، وكيف يتحول الحج بالنسبة إليه إلى نقطة تغيير ذاته في حياته، ليكون من قبل الحجّ وبعده نمطين من الشخصية؛ الاول: شخصيته قبل الوقوف بعرفة، والثاني: شخصيته بعد الوقوف بعرفة.

فمن الناس من يستفيد من هذه النقطة الاساسية فيعود بزاد عظيم ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ، ومنهم من يقتصر الاستفادة القليلة.

ولاريب إن أعمال ومواقف الحجّ كلّها فوائد تعود على الحاجّ، وفي الحديث المروي عن مولانا الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

حاء: " أعظم الناس ذنباً من طاف بهذا البيت -مشيراً الى البيت العتيق- ووقف هذا الموقف -مشيراً الى الوقوف بوادي عرفة- ثم ظنّ أن الله لم يغفر له ذنبه، فهو أعظم الناس ذنباً".

بمعنى أن الانسان يجب أن يكون على يقين خالص بأن الله قد محا كل ذنوبه وخطاياه اذا وقف في عرفات؛ الموقف الذي هو بمثابة الأوج في سلسلة أعمال الحجّ وأحكامه. فهو بحق ولادة جديدة لإنسان، حيث تتجدد روحه وإيمانه ونظرته الى حقائق الحياة وحقائق الآخرة.

ولكن نجد بعض من يعود من الحجّ، يعود الى ما كان عليه قبل ذلك بداعي ما اعتاد عليه من سلوكيات غير صالحة، بالاضافة الى احتمال هذه الفريضة الربانية على غير محملها، والاخلاص الذي ينبغي أداؤها فيها. فالفرق شاسع للغاية بين من لا يتزود من الحج بشيء، وبين من يتزود بالتقوى. وعلى كل حال فالجميع يسمى عائداً.

إن الهدف الأكبر من أداء فريضة الحج توضحه الآية الكريمة بجلاء كامل. فهي بعد أن تشير الى أن الحجّ في أشهر معلومات، وهي شوال وذي القعدة وذي الحجة، تؤكد الآية مرة أخرى بأن من أحرم للحج، عليه الالتزام بمجموعة من التعاليم تنتهي الى الولادة الجديدة، التي هي الهدف من فريضة الحجّ. وهذه التعاليم هي: نبذ الرفث، نبذ الفسوق، ونبذ الجدال خلال الحجّ.

﴿ فَلا رَفَثَ ﴾ فكل ما يتصل بالجنس والشهوة يجب أن يتهاوى وأن

يبتعد الحاجّ عنه، حتى قال الفقهاء: من ثبوت الاحرام يجدر بالحاج ان يمتنع حتى عن أن يكون شاهداً في عقد الزواج. فوجوب التخلص، ولو لفترة محدودة عن جاذبية الشهوات، أمر لابد من الالتزام به.

﴿ وَلا فُسُوقَ ﴾ وللفسوق تفسيرات عديدة، ولكنّ التفسير الاشمل هو كل ما يخرج الانسان عن جادة الصواب. أي ضرورة الالتزام بهجرة الذنوب؛ الصغائر منها والكبائر. بمعنى أن في الحجّ برنامج عمل متكامل لتربية وتزكية الحاج بصورة مباشرة. فكل ذنب من الذنوب له عقاب مباشر، وقد يصل بعض انواع العقاب الى بطلان الحجّ من الاساس، وذلك إذا تمادى الحاج في ارتكابها. هذا فضلاً عن مسألة قبول الله لها أو عدم قبوله.

ويبدو ان النموذج الأشمل للفسوق في الحج هو التلبس -اعتقاداً وسلوكاً- بكل ما من شأنه التمييز الطبقي أو العرقي أو غير ذلك بين انسان وآخر. بمعنى أنّ الحجّ فريضة المساواة بين الناس أمام خالقهم، لايتفاضل أحد على أحد، ولايتفاخر أحد على أحد، والمحرمون جميعهم يحرمون بملابس ذات نوع وشكل وطريقة واحدة، ولا حق لأحد أن يبتدع شيئاً من عنده إلا ما قررته الشريعة.

إنّ الحجّ فريضة العقيدة والعمل؛ الفريضة التي تقوّم المعتقد والسلوك في آن واحد. وفي هذه الفريضة لابد للإنسان من التوكد قولاً وفعلاً بان كرامته ومجده وشرفه وقيمته لاتكون فيما يمتلك، أو الى أي شعب أو

عشيرة ينتمي، أو في مستوى علاقته الاجتماعية أو في منصبه، أو في أي شيء من مشتقات هذه الامور الزوائل. بل إن كرامة المرء لها خصوصية ذاتية. إذ الانسان أكرم من الممتلكات والاقارب والعلاقات والمنصب.. ولنفترض أنه إذا كان يعيش في مكان مجرد، لا مال له ولا إمكانات ولا علاقات.. فهل يعني أنه لا قيمة فيه أو لديه؟!

الاسلام جاء ليعيد الناس الى هذه الحقيقة الأصلية، وقد أكدت الآيات القرآنية الكثيرة بانّ الشريف هو الانسان؛ وأن المكرّم هو الانسان وليس ما يحيط به. فشرف الدرّة بالدرّة، وليس بالخرقة التي تلفّها...

﴿ وَلاَ جِدَالَ ﴾ إن الانسان الذي يغفل عن حقيقة الوجود وعن حقيقة نفسه تجده مستميتاً في الذبّ والدفاع عن نفسه، ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (الكهف/٥٤) وهذه هي الإشكالية.

إذن؛ فالحاج يقصد بيت الله ليتطهّر؛ ليس فقط من الذنوب، وإنما من تلك الجذور العميقة الضالة في عمقه، تلك الجذور التي تتفرع عنها الذنوب. فالمذنب يذنب بشهواته المادية أو بعصبياته وجدله ومفاخرته ومباهاته واستحقاره للآخرين.. جاء الحاج ليتطهّر منها في لحظات التجلي الربانية، اللحظات التي يتعرف فيها الانسان الى حقيقة نفسه المجردة العاجزة، فيزداد معرفة بربّه. وصدق الحديث الشريف القائل: "من عرف نفسه فقد عرف ربّه"(١).

---

(١) بحار الانوار/ج٢/ص٣٢.

ولحظات التجلّي هذه تضرب في عمق الإنسان الحاج الصادق والراغب الى الله تبارك وتعالى؛ فتراه يحنّ الى أداء الحجّ مرات ومرات. فقد أشرق نور الرب على قلبه وأحسّ بالاطمئنان والسكينة واللّذة الروحية التي لا لذّة فوقها رغم الصعوبات والمتاعب الجسدية التي لاقاها أثناء أدائه مناسك الحجّ. فتراه مرة أخرى يبحث ويفتّش عن تلمس تلك اللّذة من جديد.

إن من كرم الله سبحانه وتعالى علينا أنه يرينا آياته إيماناً ويقيناً كما أراها لنبيه موسى بن عمران عليه السلام فخرّ صعقاً . والتفاوت يقترن بمستوى الايمان والمنزلة. والمقدار البسيط الذي يرينا الله تبارك وتعالى إياه يثبت لنا ويدفعنا نحو التكامل والاتصال بمقام تلقي النور الأقدس.

وبعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ .

والخير الذي يمكن للانسان ان يفعله أثناء الحجّ بوجه خاص؛ الاخلاص لله سبحانه وتعالى، ووعي الاهداف الأصلية لأنواع المناسك والإتيان بها.

والتزوّد الذي يأمر الله تعالى به، هو التزوّد بالتقوى. والتقوى عبارة عن حالة نفسية لا تنمو بالمال ولا بالدروس ولا بالمحاضرات، بل التقوى ملكة نفسية ينميها المرء من خلال تجارب عملية تترك في ذاته آثاراً ايجابية عميقة.

إن القرآن الكريم خاطب الناس خطاباً مباشراً دعاهم الى التزوّد من التقوى أثناء ادائهم مناسك الحجّ، والمهم في الانسان الحاج أن يسعى الى الحصول على التقوى، مهما كانت درجة هذا الحصول والتزوّد والطموح. ومن يحصل على هذه الملكة النورانية، هو الذي يتلمس السعادة ويذهب الى الله عز وجلّ بقلب سليم.

وهنا تجدر الاشارة الى ان أمام الانسان رحلة شاقة ووعرة في حياته، لا يعلم مداها بأي حال من الاحوال. فقد تقصر وقد تطول، وهو يجهل موعد مواجهته لملك الموت المفاجئة. ولكن بين هذا وذاك كان الله تبارك وتعالى قد أطلعه كل الإطلاع على إن الأمر المهم في حياته هو أن يمارس ارادته في التصدي لوساوس الشيطان الرجيم الذي لا ينفك عن محاصرته والتغرير به، حتى ولو كان على جبل عرفات..

فلحظة واحدة يرجع فيها الانسان الى نفسه، ليعلن فيها عزمه على التغيير والمسير نحو نور الله. فالرب تبارك وتعالى لا يطلب من المؤمن غير إشارة بسيطة ليقترب منه، ويفتح أمامه أبواب الرحمة والسعادة الأبدية. وما هذه المصائب والبلايا التي تواجه الانسان في عمره إلا صعقات لإيقاضه من غفلته وتنبيهه عما هو فيه ليتوب ويعمل صالحاً فيما ترك.

ولا نبالغ ان قلنا: ان فريضة الحجّ انما هي محطة لاستراحة الحاج من ذنوبه، ومركز مثير لإيقاف الدوامة الشيطانية الهوجاء التي تعصف به. فهي محطة جديرة باحترام الانسان كي لا تفقد قيمتها بانشغاله بمسائل

ثانويـة وتافهـة.

إن قصد الهدف الاسمى من الحجّ بتجرد، والتوجه الى لبّ المسألة ، هو المرآة الناصعة الـتي ينعكس فيها قولـه تعالـى : ﴿ وَاتَّقُونِ يَآ أُوْلِـي الأَلْبَابِ﴾ .

فليس كل انسان ينخرط في عداد من سماهم القرآن الكريـم ﴿ أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ بل هي تسمية تصدق على الذيـن يسـتهدفون عمـق القضايـا والمفاهيم فحسب. أما اولئك الذين يقنعون بالظاهر مـن الامـور، فحـري بهم العيش على السطح، أو يكتفوا من البحر بزبده.

نسأل الله سبحانه أن يجمعنا وإياكم على الهدى، ويزيّننا بالتقوى، وان نتخذ من الحج مناسبة لولادة التاريخية الجديـدة.

بوتقة الاخلاص

في كل عام ، وعندما يقترب موسم الحج يستعد مئات الالوف من المؤمنين الذين توافدوا من اقطار الارض الى بيت الله الحرام؛ يستعدون لرحلة الحج العظيمة التي هي بمثابة بوتقة تصهر الملايين من البشر بمختلف اجناسهم، وجنسياتهم في وحدة توحيدية بالغة الصفاء والقيمة.

ايام مباركات:

ان الايام العشرة الاوائل من شهر ذي الحج، التي اشار اليها الله تبارك وتعالى في قوله : ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ (الفجر/١-٣)، وقوله: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (الاعراف/١٤٢). هذه الايام تعتبر من الايام المباركة العظيمة، لان وفود الرحمان تستعد فيها للقيام بتلك الرحلة الالهية العظيمة. فلقد اذن مؤذن الرب تعالى ابراهيم الخليل عليه السلام في الناس بالحج، فاذا بقلوب الملايين تهوي الى الكعبة المباركة، والمسجد

الحرام، والمشاعر المقدسة، وتتعلق بهذه الديار التي تتجلى فيها رحمة الله، وتستقطب نفوس المسلمين اينما كانوا.

ولذلك فعلى الرغم من الصعوبات والاخطار التي كانت وما زالت تهدد الوافدين الى مكة المكرمة ، وعلى الرغم من الاموال الهائلة التي لابد لكل انسان مسلم ان ينفقها ليصل الى تلك الديار.. على الرغم من كل ذلك ترى السلمن يعشقون الحج ، ويبذلون الغالي والنفيس من اجل ادائه. وهذا دليل على ان هذه النفوس انما تهوي استجابة لنداء ابراهيم عليه السلام: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ (ابراهيم/٣٧).

ومنذ ذلك الزمن البعيد والى الآن ؛ اي بعد حوالي خمسة آلاف عام او اكثر مازال هذا البيت العتيق يستهوي الملايين من البشر، وكأنه مؤتمر الهي عظيم. فالذين يذهبون الى هذه الديار انما هم ممثلون عن المسلمين ؛ اي عن اكثر من مليارد ومائتي مليون انسان مسلم منتشرين في بقاع الارض المختلفة، صهرتهم بوتقة التوحيد ، وجعلتهم يحافظون على وحدتهم رغم انهم يتحدثون بلغات شتى ، ويعيشون في بيئات مختلفة، ويتفاعلون مع مؤثرات متفاوته. فترى الواحد منهم ينتمي الى جنس من الممكن ان لايكون الآخر قد سمع به ، ومع كل ذلك نرى هذه الامة المنتمية الى جميع الانبياء ما تزال هي الامة الواحدة كما يقول تعالى:

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الانبياء/٩٢)

فالامة ماتزال بكل عنفوانها وشبابها ونظارتها وحيويتها ، وما يزال

الحج هو بوتقـة هـذه الأمـة ، والسـبب الـذي جعلهـا واحـدة رغـم كـل الحواجز ، لان الحج يصهر هذه النفوس انصهـاراً عينيـاً واضحـاً في تلـك البوتقة الواحدة .

الله قريب منا ولكن... :

ان ربنا العزيز الرحمان الرحيم قريب منـا، ولكننـا نحـن البعيديـن عنـه. فا لله سبحانه وتعالى لا يبحث عنه في القفار ، او في اعـالي الجبـال ، اوفي عمق السماء.. فهو شاهد حيث يكون الانسان حاضرا، وهو قـائم قيـوم حي، يسمع ويرى، كما اكد على ذلك في قوله الكريم: ﴿ **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ** ﴾ (المجادلـة/١)، وقولـه: ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَـآ أَسْـمَعُ وَأَرَى** ﴾ (طه/٤٦).

وهكذا فان ا لله جل وعلا قريب منا، ولكننا نحـن البعيديـن عنـه. كمـا يشير الى ذلك قوله عز من قائل: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (البقرة/١٨٦).

اى اننا بعيدون عن ا لله جل وعلا لسبب واحد، هو اننا محجوبون عنه بمجموعة كبيرة من الحواجز. فالشمس تشرق كل يـوم وتمـلأ الخـافقين ، ولكن غرفتي التي أغلقت ابوابها ، واسدلت ستائرها بعيـدة عـن الشـمس محجوبة عنها. وهكذا الحال بالنسبة الى علاقتنا بـا لله جـل وعـلا، فنحـن بعيدون عنه، لاننا محجوبون عنه بالتوافه الدنيوية. فالدنيا هي اكبر حـاجز

بين الانسان وربه، كما يقول الحديث الشريف عن النبي صلى ا لله عليه وآله: "حب الدنيا رأس كل خطيئة " (١).

والاسوء من ذلك ان الواحد منا يعيش الانانية ، ويعيش السجن الذي وضع نفسه فيه حتى اذا ما خرج من هذا السجن دخل في رحاب الحقيقة . ولذلك جاء في الدعاء المعروف بدعاء ابي حمزة الثمالي : "واعلم انك للراجين بموضع اجابة ، وللملهوفين بمرصد اغاثة... وان الراحل اليك قريب المسافة ، وانك لا تحتجب عن خلقك إلاّ ان تحجبهم الاعمال دونك...".

ضرورة الاخلاص:

فلنخلص العمل والنية، ولنحطم الانداد والاصنام، فاذا بنا نجد انفسنا عند ا لله سبحانه وتعالى نناجيه ويناجينا، ونتحدث معه ويتحدث معنا. فقد جاء في الحديث عن الرسول صلى ا لله عليه وآله: "قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمان"(٢)؛ اي ان هذا القلب يتقلب مع ا لله جل وعلا ، كما كان حال امامنا أمير المؤمنين عليه السلام الذي وصف نفسه قائلا:"ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت ا لله قبله وبعده ومعه ".

صحيح ان عين الانسان ترى المظاهر المادية، ولكن علياً عليه السلام ينفذ ببصيرته من خلال هذه المظاهر الى رب المظاهر ، ومن خلال

---

(١) بحار الانوار/ج٥١/ص٢٨٥.

(٢) المصدر/ج٦٧/ص٤٠.

الدلائل الى رب الدلائل ؛ اي انه لا يرى المظهر، بل يرى ما رواله. ولذلك اكد عليه السلام على ان الخالق جل وعلا ، انما يرى من خلال البصائر والحقائق وذلك في قوله :" لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان". (١)

وعلى هذا لكي نصل الى الله جلت قدرته، ولكي نتحدث معه، ولكي نحبه ويحبنا ، ونرضى عنه ويرضى عنا.. فان علينا ان نسقط كل الاصنام التي يقف في مقدمتها صنم الانانية. فكلنا من آدم، وآدم من تراب. ومادامت حبات التراب لاتختلف، فان البشر ايضاً لايختلفون عن بعضهم إلاّ بالتقوى، كما يقول رب العزة: ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات/١٣) .

وعلى هذا فان من الواجب علينا ان لانفتخر بأصلنا ونسبنا. فالنسب لايمكن ان ينفع الانسان من دون العمل الصالح. فعلى سبيل المثال ان ابن شيخ المرسلين نوح عليه السلام لم تنفعه صلته القريبة بهذا النبي، و لم تستطع ان تنجيه من الغرق، لانه لم يكن مؤمناً با لله تعالى كما يروي لنا ذلك القرآن الكريم في قوله: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود /٤٥-٤٦) .

(١) نهج البلاغة/الخطبة١٧٩.

وعلى هذا يجب علينا ان نسقط هذا الحجب والحواجز، ونتصهر في بوتقة الايمان. ولذلك نجد المسلمين في مكة المكرمة عند الطواف والمسعى، وفي عرفة والمشعر ومنى وغيرها من المشاعر المقدسة هم اقرب ما يكونون من الله جل وعلا، لانهم حطموا في تلك اللحظات جميع الحواجز. فتراهم جميعهم على اختلاف الوانهم ، ولغاتهم ، ومراكزهم الاجتماعية يهتفون قائلين : " لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك ".

فالميزات التي تميز الانسان عن الآخر تسقط كلها في موسم الحج. فعلى سبيل المثال، فان الملابس التي تعتبر من الامور التي يتميز بها انسان عن آخر ، ترى في الحج ان الجميع يرتدون لباساً واحداً متشابهاً، هو لباس الاحرام. فتتهاوى مظاهر الترف والزينة، لانها تعتبر من الامور المحرمة في الاحرام .

وهكذا ففي موسم الحج يشعر الانسان بالروحانية والصفاء . فترى النفوس تلتهب ايمانا وتتوقد معرفة با لله تقدست اسماؤه، فكلمات الدعاء تنبع من اعماق الانسان، وتختلف عما نعيشه في غير موسم الحج، حيث تحيط بنا الدنيا وزخارفها.

فلنخرج من هذا السجن الذي حبسنا فيه انفسنا، لتشرق على قلوبنا شمس الحقيقة، وحينئذ نقترب من الله جل وعلا، ونتخلص من حالة البعد والاحتجاب عنه بالحواجز والحجب الدنيوية .

في استقبال ايام الحج:

وبالاضافة الى ذلك فاننا كلما نقترب من الايام العشرة الاولى من ذي الحجة الحرام ، ونستقبل يوم العيد الذي هو من الايام العظيمة عند الله، فان علينا ان نهئ انفسنا – إن لم نوفق الى الحج – كما يهيؤها الحجاج، ولنشاركهم في روحانيتهم ، وتوجهاتهم الانسانية ، وان نهتم في ليالي تلك الايام المباركة بقراءة القرآن والادعية واداء صلاة الليل واداء النوافل من العبادات.. والاهتمام بالتوجيهات الروحية التي من شأنها ان تخرجنا من سجن هذه الدنيا. بهذا يمكننا ان نحظى ولو على شيء من فضيلة الحج وكرامته، وان ننهل من معين فوائده الجمة.

موقف المعرفة

إن المسافة بين الأرض والسماء يتصورهـا البعـض مسـافة لاتنتهـي، في حين أن هذه المسافة نفسها لدى البعض الآخر لا تعدو أن تقطـع بـأقصر زمن وأخف حمل. إذ أن هذا البعض يمتطي خلال رحلته مطية الاسـتغفار والتوبـة دون حجـاب والتوبـة دون حجـاب واحـد مـن حجـب الكـبر والغرور والاثم.

فمن أيِّ الناس أنا؟ ومن أيّ الناس أنت؟

وبكـل اختصـار أشـير الى أن الله سـبحانه وتعـالى يرفـع في -لحظـة- عرفات القلم عن التدوين ليضعه في يد الانسان حتى يقرر ويقدر مصـيره بنفسـه، تماماً كمـا فعـل سـبحانه وتعـالى ويفعـل ذلـك في ليلـة الثـالث والعشرين من شهر رمضان الكريم حيث ليلة القدر، فيختار المـرء مسيره نحو اليمين أو الشمـال . والفرق بين المناسبتين ؛ أن مناسبة ليلة القدر تعم جميع الناس، بينما لحظة عرفـات تختص بشريحـة معينـة منهم ممن حضـر

المنسك الكريم عند وادي عرفات.. وطوبى لهم من حضور.

وعلى هذا الاساس يكون من الجدير القول بأن عزيمة الحاج الى أداء مناسك الحج، انما تتأتى ضمن دعوة رسمية صادرة من قبل الله تبارك وتعالى موجهة إليه. بمعنى أنه سبحانه وتعالى ينظر بعين الرحمة والحكمة الى عباده، فيختار منهم من يختار الى الوقوف بين يديه في تلك المواقف المقدسة، بينما تبقى تلك الفجاج العظيمة تنتظر دورها عسى الله ربها يرحمها ويتعطّف عليها حيث يأتي دورها وتشملها الدعوة الربانية.

ويستطيع الحاج أن يراجع ذكرياته الجميلة منذ أول خطوة خطاها لأداء المناسك؛ كيف تكونت لديه الفكرة، وكيف أحس بالرغبة العارمة الى الحج، وكيف واجهته عقبات السفر فتجاوزها الواحدةبعد الاخرى حتى تشرف بالوصول الى الديار المقدسة وأدّى فريضته..

ومن هذا المنطلق يجدر بالحاج أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الدعوة الخاصة والمقدسة ويتقن بكل وعي وإخلاص وتوجه أداء مناسكه، ويعرف كل المعرفة كيفية الاستفادة من هذه الضيافة، ويتعلم أصول اللقاء إذ الداعي هو جبار السماوات والأرض رب الدنيا والاخرة ومالك كل شيء.

ليبدأ قاصد الحاج بالخطوة الاولى، وليتأكد بأن ارتداء ملابس الاحرام وخلع ملابسه العادية لاتقتصر على هذه العملية الظاهرية، بل هي مجرد رمز الى ضرورة إماطة الحجب الباطنية التي من شأنها الحيلولة دون رؤية

الحقائق الملكوتية. ولعل في كل شرط من الشروط التي يجب أن تتوافر في ملابس الاحرام، يمكن رمز من رموز العرفان والزهد والتوجه الخالص الى البارئ سبحانه وتعالى. فالتجرد من الثياب العادية يرمز الى التجرد من الذاتية والأنانية، وكأن المحرم يعلن عن أنه ليس ذلك الانسان السابق الغريق في أو حال المادة. وهذا التجرد يعني في الوقت ذاته الاعلان عن الدعاء والتضرع والاستعداد لتلقي الرحمة الإلهية.

ولقد رأيت بنفسي بعض الحاج لايكاد يجرؤ على لبس ثياب الاحرام أو أداء شعار التلبية شكاً في نفسه من أن يكون كاذباً في عمله أو مدّعاه؛ وخوفاً من ربّه العزيز أني يبادره بالإعراض والجفاء تبعاً لذلك. ورأيت أعينهم تفيض من الدمع، وجلودهم تقشعرّ من الخوف في تلك اللحظة العظيمة؛ لحظة الاحرام والتلبية.

الآن وقد عزمنا على الذهاب الى عرفات (١) ونستعد لطيّ المسافة، لابد لنا من أن نعرف قبل كل شيء أن الله تبارك وتعالى قد تفضل علينا قبل كل ذلك باختزال هذه المسافة، حتى لتكاد الفاصلة بين السماء والارض لتنعدم وتتلاشى.

ولابد ان يستحضر كل منا ان اول واجب يقع على عاتق الواقف بعرفات، هو واجب معرفة الله سبحانه؛ معرفة قلبية تتصل بالنور،

---

(١) هذا الحديث القاه سماحة السيد المدرسي في مكة المكرمة بتاريخ ٨/ذي الحجة/١٤١٨ بحضور جمع من المؤمنين وهم مقبلون على الذهاب الى وادي عرفات.

وتخرق الحجب، وتصل الى معدن العظمة والقدرة والملكوت.

وثمة قضية أخرى ينبغي التوجه إليها، وهي أن معرفة المؤمنين من ضمن المسائل التي لابد للواقف بعرفات أن يحوزها. فهناك تلتقي أرواح المؤمنين، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام: "الارواح جنود مجندة، ما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف "هناك أيضاً تكتشف الصديق الجدير من غيره فهو سيكون صديقك في الدنيا والآخرة.

والأعظم من معرفة الصديق، معرفة الامام. إذ ان فلسفة الحج وروحه وحقيقته تكمن في معرفة الامام.

ومن اراد ان يزداد معرفة بامامه، يتطلب منه ما يلي:

أولاً: أن يتحول القلب الى مركز ومهوى لحب الامام وحب أهل البيت عليهم السلام وحب ما أحبّوا وبغض ما يغضوا.

ثانياً: مطالعة الأحاديث والأدعية المتواترة عن أئمة الهدى المعصومين، فأرواحهم تتجلى تجلياً ناصعاً في هذه الأدعية والأحاديث، ومن ذلك دعاء المإمامين الحسين والسجاد عليهما السلام الخاص بيوم عرفة. وهذه المطالة لابد وأن تكون بروح متفتّحة وقلوب طاهرة ومنزهة عن الوساوس والشكوك والزيف والاهتمم بالدنيا.

ثالثاً: الالتقاء والاستفادة من علماء وفقهاء أهل البيت الربانيين الزاهدين الذين يمثلون بحق خطّ الانبياء والائمة عليهم السلام فلقد جاء

في الأثر أن "العلماء ورثة الانبياء"، وان "علماء أمتي أفضل من أنبياء بني اسرائيل". فاذا التقى الحاج بالعالم الرباني عليه أني عرف أنه الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها في سبيل الحصول على المعرفة والحقيقة.

تطلعات اجتماعية

من حكم حج بيت الله الحرام ، هذه التظاهرة الايمانية والمسيرة الالهية الكبرى ، تحويل رؤية الانسان الى الدين من علاقة شخصية بينه وبين ربه الى نظام اجتماعي يسود كافة نواحي الحياة . وهي ايضاً الحكمة ذاتها المتوخاة من اقامة صلاة الجمعة والجماعة ، واغلب الشعائر التي أمر الله تبارك وتعالى بتعظيمها، قائلاً : ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ (الحج/٣٢).

الانغلاق مشكلة بشرية :

ومن المعلوم ان الانسان منغلق بطبعه على ذاته؛ وتحوله من قوقعة الذات الى رحاب الحياة يعتبر عملية حضارية تحتاج الى الارادة والوعي ، ومن دونهما لايستطيع الانسان الوصول الى مستوى الخروج من ذاته ، والتحليق في سماء المجتمع الذي يعيش فيه. لان الانسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يعيش ضمن دائرة المجتمع بسبب احساسه بهذه الضرورة ،

ووعيه وارادته ، وكلما تجاهل الانسان الوعي والارادة كلما ابتعد عن الحضارة والتقدم. ولان هذه هي الطبيعة الاولية لدى الانسان، فان التعاليم القرآنية، وتعاليم سائر الرسالات الاخرى من الممكن ان تنحرف لديه، وتتحول من تعاليم اجتماعية وسياسية واقتصادية الى مجرد مجموعة من القيم الفردية.

وهذه هي المشكلة التي عانت منها الامم السابقة. فهي قد حولت الدين الى تجربة ومعاناة شخصية ، وسلبت منه الجانب الاجتماعي والحضاري، مكتفية بالجوانب الشخصية .

وقد ابتلي المسلمون ايضاً عبر التأريخ بهذه المشكلة ، فهم بدورهم حولوا الدين الى مجرد علاقة شخصية. وقد كانت فكرة الخروج من اطار المسؤولية ، والابتعاد عن مشاكل السياسة ، السبب في المشاكل التي عانى وما يزال يعاني منها المسلمون .

وعلى هذا الاساس فلا بد ان نلتزم بالتشريعات الالهية التي من شأنها ان تغير من نظرتنا هذه الى الدين. فاذا اردنا ان نعبد ربنا، فان علينا ان لا نكتفي باداء هذه العبادة في زاوية من زوايا البيت، بل لنتوجه الى المسجد. وقد حثتنا الاحاديث الشريفة على ضرورة اضفاء البعد الاجتماعي على عباداتنا ؛ فان كان ثواب الصلاة في البيت عشر حسنات، فان ثوابها في المسجد يرتفع ليصل الى مائة حسنة، وان الصلاة في مسجد تقام فيه صلاة الجمعة اثوب عند الله من مسجد المحلة او

الشارع...

العلاقات الاجتماعية هي الحل:

ومن هذا المنطلق فان على المسلمين ان يقصدوا بيت الله الحرام من اقاصي الارض ليلتفوا حلول الكعبة التي جعلها الله تقدست اسماؤه قياماً للناس ، ليعبدوا الله جميعهم في موسم واحد ، وليحضروا كلهم في مكة في اشهر الحج، الى درجة ان الشريعة قد اعتبرت هذا التجمع واجباً ، فالذي لا يدرك يوم التاسع من ذي الحجة - مثلاً - ليتواجد في عرفات يكون كمن لا حج له ...

وهكذا الحال بالنسبة الى سائر التعاليم الالهية ، فعندما يأمرك القرآن الكريم بالتزام الصدق والوفاء وحسن الظن والتعاون وقول الكلمة الطيبة.. فان هذه الوصايا تقتضي منك ان تكون صادقاً مع الآخرين، وان تكون وفياً بعهودك معهم، بارا بالوعود التي برمتها معهم، لا تنابزهم بالالقاب، ولا تسيء الظن بهم ... وهذه الوصايا والتعاليم موجهة الينا كأشخاص، وكفئات، واحزاب، او اية تجمعات اخرى. فعلينا ان نكون متحلين بالاخلاق الاسلامية على صعيد الاطار الاجتماعي. فكل تجمع منا يجب ان يكون صادقاً مع التجمع الآخر، وان لايتجسس بعضنا على البعض الآخر ، ولانتنابز بالالقاب..

وعندما نقرأ سورة الحجرات، فاننا نرى ان الله سبحانه وتعالى عندما يريد ان يحدد العلاقة المثالية بين ابناء الامة الاسلامية، فانه يتحدث عن

القتال الذي من الممكن ان يحدث بين طائفتين من المؤمنين، فيقول تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات/٩)

ثم تيقول عز من قائل مركزاً على الجانب الاخلاقي : ﴿ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ (الحجرات/١١) .

ويقول : ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات/١٢) .

وعلى هذا فان العلاقة اذا ما صلحت بين طائفتين فانها ستصلح ايضاً على صعيد الافراد، لان العلاقة بين الطوائف والتجمعات هي العلاقة الاساسية ، وهي التي تخلق الحضارة إن كانت ايجابية ، او تركسنا في التخلف بل الى الجاهلية ان كانت سلبية .

وهكذا فان من حكم التجمعات الايمانية مثل الحج -كأكبر تجمع ايماني - وصلاة الجمعة والجماعة، الى اصغر عمل يقوم به المجموع؛ ان نفهم الدين في اطاره الجماعي .

ومن ابرز واهم الادعية التي أوصي الانسان المسلم ان يدعو بها، قوله تعالى على لسان يوسف الصديق عليه السلام: ﴿ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (يوسف/١٠١)، وفي آية اخرى يقول سبحانه: ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة/١١٩).

وعلى هذا الاساس فان التعاليم الالهية ينبغي ان توضع ضمن اطار

بناء المجتمع المثـالي، واذا مـا ضمنـا تحقيـق هـذا المجتمـع فـان الفـرد المثـالي سيكون وجوده مضمونـا أيضـاً. فـالفرد هـو اللبنـة الاولى في بنـاء كيـان المجمتع، وهذا ما يقتضي من الانسان ان لا يعيش فرداً .

الحج مبعث عطاء:

ويعتبر الانفاق واحدا من التعاليم والممارسـات الاسـلامية الـتي تكـرس روح الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لدى الانسان المسلم. وفي هذا المجـال يقول تعالى في سورة المنافقين :

﴿ هُمُ الَّذِيـنَ يَقُولُـونَ لاَ تُنفِقُـوا عَلَى مَنْ عِنـدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّـوا وَلِلَّـهِ خَزَآئِـنُ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِـنَّ الْمُنَافِقِـينَ لاَ يَفْقَهُـونَ﴾ (المنافقون/٧).

المعلوم ان مـن خصـائص الحـج والتجمعـات الايمانيـة الاخـرى، انهـا تجمعات العطاء. والا لماذا ينبغي على المسلمين - فيما يتعلق بـالحج - ان يتوجهوا الى الصحراء ليذبحوا عشرات، بل مئات الالوف من الاضـاحي؟ أليس من الافضل - في الظاهر - ان تجمع هذه الاضحيات جميعـا لتذبـح في منطقة مسلمة تعاني من الجوع لتوزع فيها ، ولماذا التأكيد على الذبـح في منى؟

قد تكون الحكمة من وراء ذلك اغناء روح الانسان ، وإظهار نعم الله تعالى عليه ، وتحويل التجمع الايماني الى تجمع عطاء لا اخـذ. فالمسـلمون يجب ان يتعودوا على غنى النفس ، ولذلـك يقـول عـز وجـل : **﴿ وَلِلَّـهِ**

خَزَآئِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فهو يملك السماوات والارض وخزائنها، مفاتح الغيب ، وهو الذي يعطينا ، ولكنه اراد ان يطهرنا بالعطاء. فعندما يبادر الانسان بالعطاء، فان قلبه لا يلبث ان يتطهر. وهذا ما يشير اليه القرآن الكريم في قوله : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ (التوبة/١٠٣).

فعندما نعطي الصدقة فانها بمثابة تزكية لنا ، وتنمية للتقوى في نفوسنا، كما يقول سبحانه : ﴿ **لَن يَنَالَ اللّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ** ﴾ (الحج/٣٧).

فالتقوى تنمو من خلال الدماء التي تسال في منى ، فتكبر الروح ، وتغنى النفس، وترتفع الهمة ، وتشحذ الارادة ، وتشتد العزيمة ، وبالتالي فان الروح الايمانية ستسمو.

اما المنافقون فانهم لايمتلكون الفهم لكي يدركوا عمق وحكمة هذه الممارسات ، فترى الواحد منهم يتصور ان الذي يعطي يصاب بالخسارة. في حين ان الذي يعطي لابد ان يأخذ اكثر مما اعطى، لان الله اعّد له اجراً عظيماً مضاعفاً في الدنيا والآخرة. فهو يعطي ليحصل في المقبل على الطيبة في القلب ، والطهارة في النفس ، والتحرر من اسر المادة ، والانطلاق في رحاب الحقيقية .

العزة في الوحدة والايمان:

ثم يقول عز وجل بشأن المنافقين: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ**

لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون/٨) .

فهم يجهلون ان العزة الحقيقية تكمن في الوحدة والاتحاد ، والانضواء تحت راية التوحيد. فان افتخر شخص على آخر بانه اعز منه ، فان هذا الشخص لايريد العزة في الحقيقة، بل يريد الذلة من حيث لايشعر، لان التفاخر سوف يدفعه الى الاختلاف ، والاختلاف ذل .

ولذلك فان المنافقين كانوا يطلبون الاختلاف، في حين ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يستهدف الوحدة. وبهذه الوحدة استطاعت تلك القبائل المتناحرة في الجزيرة العربية ان تكون اكبر حضارة في التأريخ. ويالَيتنا نفهم منطق التأريخ، ونعود الى ابسط الحقائق في القرآن الكريم وتأريخ امتنا، لندرك مخاطر هذه الاختلافات والنعرات والطائفيات القوميات والشعوبيات التي تجعلنا نسقط في مستنقع الذلة والصغار.

ان العزة الحقيقية في الوحدة والايمان والتمسك بحبل الله، كما يقول عز من قائل: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ .

بعد ذلك يذكرنا ربنا جل وعلا بجملة وصايا تربوية واخلاقية، قائلاً :

﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلآ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ (المنافقون/٩). أي لا تهبطوا الى الارض ، وتركنوا الى الاموال والاولاد، بل ارتفعوا الى مستوى ذكر

الله عز وجل، لان من يفعل ذلك فهو الخاسر الاكبر.

ثم يقول ربنا تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون/١٠-١١).

فعندما ينظر الانسان الى ملك الموت واقفاً على رأسه ومنشغلاً في نزع روحه ، ثم ينظر نظرة اخرى الى امواله وممتلكاته وذهبه وفضته.. فحينئذ تغمر الحسرة وجوده ، ويطلب من الله تعالى بالحاح ان يمهله . ولكن الاجل اذا حل، فان كل شئ ينتهي .

وسيلة التعارف

كثيراً ما نتساءل : ما هي الحكمة من اداء فريضة الحج ؟

للاجابة على هذا السؤال نقول: ان هنـاك حكمـاً عديـدة تكمـن وراء حج بيت الله الحرام ، وهذه الحكم يبينهـا الله جـل وعـلا في القـرآن في أكثر من آية وسورة، كقوله عز من قـائل في سـورة الحـج: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيـقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْـمَ اللَّـهِ فِي أَيَّـامٍ مَعْلُومَـاتٍ عَلَـى مَـا رَزَقَهُم مِن بَهِيمَـةِ الأَنْعَـامِ فَكُلُـوا مِنْهَـا وَأَطْعِمُـوا الْبَـآئِسَ الْفَقِـيرَ * ثُـمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ .

فالحج هو معراج روحي للانسان، كما هو الحال بالنسـبة الى الصـلاة. فقد جاء في الحديث الشريف : " الطواف بالبيت صلاة " .

والحج هو تذويب للفوارق بجميع انواعهـا وإثـارة ، وتأجيجاً لمشـاعر الوحدة الاسلامية القائمة على اساس المبادئ السامية، وهـو ايضـاً حركـة

اقتصادية واسعة ، ومؤتمر حضاري اسلامي عظيم ...كل ذلك وغيره يمثل حكما تدفع الانسان نحو الحج .

حكمة التعارف في الحج :

وهنا سوف اركز حديثي على حكمة اساسية من حكم الحج، قد تكون خافية على الكثير منا، الا وهي حكمة التعارف الذي جعله الله سبحانه وتعالى هدفاً وغاية لخلق البشرية، وذلك في قوله سبحانه:

﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات/١٣) .

والتعارف الذي يعني، تعرف الناس على بعضهم البعض، يمثل اساس حضارة الانسان فوق هذا الكوكب. ونحن نعلم ان كلمة (الحضارة مشتقة من الحضور، والحضور على نوعين؛ حضور لجسد مع جسد آخر، وحضور الروح عند الروح، والارادة لدى الارادة الاخرى. وبتعبير آخر ؛ هو حضور معنوي يفرز الحضارة والتقدم والتطور لدى الانسان ، لان الانسان الذي يكون له حضور الى جنب أخيه الانسان روحياً ومعنوياً ، ويعترف منذ البدء بوجوده وحقوقه ، فان هذا الشعور هو الذي يجعل الفردين الحاضرين عند بعضهما يتعاونان. من المعلوم ان التعاون سوف ينتهي بالتالي الى التقدم والتكامل .

الحضور المعنوي هو الاساس :

ولذلك فان الحضارة المستنبطة من فكرة الحضور والشهود ، انما تنفع

اذا كانت تعني الحضور المعنوي و لم تكتف بالحضور المادي . فكلما كان حضور الانسان عند الآخرين اكثر ، فان حضارتهم سوف تكون اسرع نمواً واكثر نضجاً، لان الانسان الذي يتعاون مع انسان آخر في جوانب معينة فان الحضارة عندهما ستكون محدودة بحدود تعاونهم مع بعض . ولذلك فاذا كان هناك انسانان مفترقان من الناحية المكانية، كأن يكون احدهما في الشرق والآخر في الغرب، وساد بينهما التعاون من جميع جوانبه، فانهما سوف يستطيعان افراز الحضارة رغم انهما ليسا حاضرين عند بعضهما جسدياً .

ولذلك فان القرآن الكريم يستعمل بدقة مصطلح (التعارف) بدلاً من الحضارة، ذلك لان معرفة البعض بالبعض الآخر ، والوعي الحضاري المتبادل ، وادراك الانسان ان عليه ان يتعاون مع الآخرين.. فان كل ذلك هو بداية انطلاق الحضارة من كل موقع .

ومما لاشك فيه ان هذا التعارف يتجسد كأحسن ما يكون التجسد في حج بيت الله الحرام، لان نخبة من ابناء الأمة الاسلامية من كافة الاقطار والطبقات سوف يتوافدون على منطقة واحدة ، ويجردون انفسهم عن الفوارق ؛ ومن ضمن مظاهر هذه الفوارق الثياب ، والجدل ، والتفاخر بالآباء ، والعمل ، واستخدام الوسائل الترفيهية.. ولكن هذه الفوارق تذوب جميعها اثناء موسم الحج، كما يقول تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي**

الْحَجِّ ﴾ (البقرة/١٩٧) .

فالجدال الذي يفرق بين الانسان واخيه الانسان محرم ، وكذلك الفسوق والرفث، وكل ما من شأنه ان يميز انسانا عن انسان آخر .

وهكذا فان الحج هو البوتقة الواحدة التي تذوب جميع الفروق والحدود والحواجز المصطنعة بين ابناء البشر . وقمة هذا الذوبان، هو التعارف. ونحن - المسلمين- بحاجة ماسة الى هذه الحكمة سواء عبر فريضة الحج، او الوسائل الاخرى .

اهمية التعارف في توثيق العلاقات :

ومن اجل ان نبين اهمية التعارف في توثيق العلاقات الاجتماعية والانسانية نقول: لنفرض انه قد قيل لك ان لك اخوانا مسلمين يعيشون في احدى الجزر النائية تعرضوا لزلزال عنيف وقتلوا نتيجة لهذا الزلزال، فان هذا الخبر من الممكن ان لا يهزك ، ولا يثير مشاعرك إلاّ لفترة موقتة. اما لو أخبرت ان زميلاً لك في الدراسة قد كسرت رجله، ورقد في المستشفى، فانك ربما تتأثر اكثر. والسبب في ذلك انك تعرف زميلك هذا ، وهو يعيش في وعيك ، لان معرفتك به ، وذكرياتك معه هي التي تدفعك الى التأثر والتألم .

واذا ما افترضنا انك قد ذهبت الى الحج ، وفي اثناء ادائك لمراسم هذه الفريضة تعرفت بشكل او بآخر على اهالي هذه الجزيرة ، وتحدثت معهم، فحينئذ سيختلف وقع الخبر السابق بالنسبة اليك ، فتبادر الى

مشاركتهم الحزن والاسى .

هل نحن في مستوى التعارف:

وللاسف فان المسلمين يعيشون اليوم حالة انفصام عن بعضهم. فلا يعرف بعضهم البعض الآخر، إلاّ بقدر معرفتهم بالاخبار العامة .

واذا ما اردنا ان نطرح هذه المشكلة في افق اوسع، فلا بد ان نقول: ان مشكلة العالم الثالث الذي ننتمي اليه، هي مشكلة تخلفنا في مجال التطور العلمي. في حين ان الاسلام جعل طلب العلم فريضة على كل انسان مسلم، والنبي صلى الله عليه وآله يحثنا على طلب العلم قائلاً: "اطلبوا العلم من المهد الى اللحد" و"اطلبوا العلم ولو بالصين" (١)، والامام الصادق عليه السلام يشدد على اصحابه في طلب العلم قائلاً : " ليت السياط على رؤوس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام ". (٢)

ان هذا العلم الذي جعله الله عز وجل فريضة ، وامرنا ان نبحث عنه، هو مشكلتنا اليوم . في حين ان الغربيين لا يعانون من اية مشكلة في هذا المجال . فعلى سبيل المثال، فان رئيس قسم الشرق الاوسط في مكتبة الكونغرس الاميركية صرح ذات مرة ان هذه المكتبة مشتركة في (٤١) الف نشرة دورية تتحدث كلها عن الشرق الاوسط ، وفي الولايات المتحدة الاميركية هناك المئات من بنوك المعلومات التي تزودنا بالمعلومات

---

(١) بحار الأنوار/ج١/ص١٧٧.

(٢) المصدر/ص٢١٣.

عن كل شئ ؛ عن حياتنا ، وعن طبيعة اقتصادنا ، ومسار سياستنا ، وتحركاتنا ... وقد ربطوا الآن بنوك العالم في اوروبا بنظيراتها في اميركا ، وهذه المعلومات تخزن ، لتتم الاستفادة منها ، ولذلك فانهم استطاعوا ان يستعمرونا ، ويكيدوا لنا ، ويمكروا بنا .

ضرورة استقاء المعلومات :

ان من جملة واجبات الانسان المسلم اليوم، والعالم الاسلامي يتسع ومشاكله تزداد، معرفة اخوانه المسلمين. فالمعلومات يجب ان تنتشر الآن بين المسلمي، لان هذه المعلومات هي التي تمثل سلاح الانسان المستضعف ضد المستكبر. فينبغي - اذن - على كل مستضعف ان يمتلك المعلومات الكافية، ولذلك يؤكد النبي صلى الله عليه وآله على ان طلب العلم، وقد جعله فريضة على كل انسان مسلم دون استثناء، و لم يقصدها على الفقهاء او على نخبة معينة اخرى من الامة .

ونحن - للاسف الشديد - لانعرف اين يعيش اخواننا المسلمون، وكيف يعيشون، وماذا يجري على شعوبنا، وماهي اساليب الاستكبار العالمي ازاءهم، وماهي المؤامرات والاساليب التي يستخدمونها في الخداع و التضليل، والدسائس التي يحوكونها ضدنا ... كل ذلك نجهله، فكيف نتوقع ان نقاومهم، ونتحرك نحو الوحدة الاسلامية؟!

ولذلك فاني اوصي المسلمين جميعاً ان يخصصوا جزء هاماً من اوقاتهم، للتعرف على اخوانهم في العالم من خلال الجرائد والمجلات، والاتصالات

الشخصية عبر السياحة والسفر. وموسم الحج خير فرصة لذلك. لذا يجدر بالمسلم عندما يذهب الى الحج، ان لا يكون همّه التفتيش عن الامتعة والبضائع الجديدة، بل يتعين عليه ان يحاول جاهدا اقامة جسور العلاقات مع اخوانه مهما كانت انتماءاتهم، وان يتعرف على احوالهم وافكارهم وتجاربهم في الحياة. فليس من الهين ان يجتمع مليون انسان في مكان واحد يمثلون مجموعة مختارة من صفوة المؤمنين في جميع ارجاء العالم الاسلامي.

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج/٢٧)

ففي الطريق الى الديار المقدسة يعاني هؤلاء الكثير من المشاكل والصعوبات، ومع ذلك فانهم يتوجهون لاداء فريضة الحج برحابة صدر ورضى، لان تلك الصعوبات والمشاكل تعمل على امتصاص سلبياتهم، وتزيل من التصاقهم بالمادة، وتبلور شخصياتهم، وتلغي الفوارق بينهم، وتزودهم بالنقاء الروحي، فيتجهون -بالتالي- الى الله جل وعلا وحده.

ولو ان هذا العدد الهائل من المسلمين اتصلوا ببعضهم ، واستقى بعضهم من البعض الآخر المعلومات والخبرات، ثم عادوا الى بلادهم محملين بهذه المعلومات القيمة، فكم ستكون هذه المعلومات ذات آثار ايجابية بناءة على مستقبل البلدان الاسلامية. لان هؤلاء الحجاج عندما يعودون الى بلدانهم سوف يشرحون لاخوانهم هناك المعلومات التي

حصلوا عليها من اخوانهم المسلمين في مختلف انحاء العالم، الامر الذي سيؤدي الى ان يتعرف المسلمون على بعضهم البعض، وبالتالي فان الشعور بوحدة المصير والهدف سيسود بينهم .

الشعور السائد في الحج :

فانك عندما تلتقي بالحاج هناك، فانك سوف لاتشعر انك قادم من آسيا وهو من افريقيا مثلاً، وانك أبيض وهو أسود.. بل يسودك الاحساس بانكما حاجان تلتقيان بعيداً عن جميع الفوارق والحواجز.

وعلى الحجاج ان يستغلوا هذه الحالة المعنوية التي تسودهم في الحج، لكي يلتقوا بسائر اخوانهم المسلمين ، ويتعرفوا على ما يعانونه من مشاكل في بلدانهم ، وليشرحوا لهم - هم بدورهم - اوضاعهم ، ومشاكلهم.. فلابد من ان ينفتح الانسان المؤمن على أخيه المؤمن ليتعاونا معا، من اجل حل مشاكلهما .

ان الانسان المسلم الذي يأتي من اقصى الارض، وذلك الذي يعيش في مكّة، هما سواء في هذا البيت الذي جعله الله لجميع المسلمين دون فرق، كما يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ**﴾ (الحج/٢٥).

من منافع الحج :

ثم يقول عز وجل: ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ**

أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ (الحج/٢٥-٢٨) .

وهذه المنافع التي يشير اليها الله تقدست اسماؤه، لا تقتصر بالتأكيد على الذبائح في منى ، بل تشمل ايضاً منافع المسلمين ومصالحهم، لانه تعالى يقول : **﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾** .

ومن المعلوم انه كلمة (الشهادة) تختلف عن كلمة العلم والمعرفة ، لان الشهادة هي وعي عميق. فعندما تقول : اشهد ان لا اله الا الله. فان هذا يعني انك قد وصلت في علمك الى مرحلة الشهادة ، والعلم الحضوري - إن صح التعبير - .

ثم يضيف سبحانه، مشيراً الى منافع وفوائد اخرى ترتجى من وراء الحج : **﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾** (الحج/٢٨-٢٩) .

فالحج يعمل على تطهير نفوس المسلمين من الادران والنفايات والرواسب التي علقت بهم، لكي يصلوا الى مرحلة النقاء والصفاء والطهارة والتزكية، وشكر الله تعالى على رزقه اياهم وتوفيره النعم لهم، ولكي يدفعهم الحج الى الرفق بالانسان الفقير، وتقديم العون والمساعدة

له .. لكي تسود الوحدة والانسجام بين الشعوب والمجتمعات الاسلامية، ويحدث التعارف بينهم ويسهموا في بناء حضارتهم الاسلامية.

فرصة التغيير

لو سألت عن السبب الحقيقي وراء كون عرفات مظهراً وتجلياً كاملاً للرحمة الالهية، لأجبتك وبكل صراحة: بأنني عاجز عن فلسفة ذلك، ولا يسعني سوى القول بأنّ الله سبحانه وتعالى، الذي جعل الشمس محوراً ومركزاً لمنظومتنا الشمسية ولهذا النور العظيم، هو الذي جعل رحمته العظمى هنا في عرفات، وفي لحظات معينة من السنة برمّتها.

ومن تجليات الرحمة الالهية أن ربّ العزة يخاطب عبيده التائبين من دون واسطة: عبدي؛ " قد غفر لك، وطهُرت من الدنس فاستقبل واستأنف العمل" (١). وهو نفسه الذي يأمر الملائكة بالترحيب بوفده. هذه الرحمة التي لو عرف الانسان قيمة أبعادها، لتأكّد له بأن لو أعطي كل شيء لكان بذاك حرياً.

---

(١) بحار الانوار/ج٩٦/ص٢٦٢.

فما أحلى هذه العشية، وما أروع الاجتماع تحت ظل الرحمة الالهية.

خلاصة العمر :

العمر كلّه فرصة كما هو معلوم، وخلاصة العمر كله تتجسد في لحظات عرفات القصيرة. فعرفات يقف خلقها التقدير الالهي للإنسان، والتقدير هذا لا يكون إلاّ بعد أن يقرر الانسان مصيره. اذاً فالتقدير الالهي ما هو إلا انعكاس لقرار الإنسان، وما أروع أن يكون القرار قراراً تتحلى فيه صور التوبة والعودة الى خط الاسلام الصحيح، لاسيّما وأن الحاج في عرفات يجهل مدى استمرار العمر به، حيث لا يدري كم سوف يعيش، وهل سيكون من نصيبه أن يحجّ في السنة القابلة. فما أحراه أن يغلق على نفسه كتاب الذنوب والعصيان، ويفتح في مقابل ذلك كتاب اليمين والاحسان والاستغفار.

فلحظات عرفات هي لحظات الدعاء والمسألة الى ا لله سبحانه وتعالى، ففي خلالها يكون كلام العبد مسموعاً من قبل الرب العظيم، وذلك بعد أن يثبت العبد حسن نيّته وصفاء سريرته وسلامة قلبه.

وحينما نوفق ان نكون ضيوفاً على الرحمن في عرفات، فلنتأكد بأن الله هو الارحم وهو الاكرم، وفي مقابل ذلك لنختزل في أذهاننا اسوداد وجوهنا وفراغ ايدينا، وأننا لم نأت بعمل صالح، واننا لا نفتخر بمجيئنا الى هنا أو بأداء مناسكنا، وانما المسألة اننا دعينا من قبل الرب العظيم ووفقنا الى التلبية والحضور، وا لله السميع العليم الذي يشهد على وقوفنا

في هذا الوادي المقدس أهل للمنّ، وأهل لأن ينظر إلينا نظرة واحدة تحول حالنا الى أحسن الحال. فالله هو القائل لعباده: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر/٦٠). وهو القائل أيضاً: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة/١٨٦)

وقد روي ان .. أحد الاعراب سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: يا رسول الله اقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ (١) . فالله قريب الى عباده . ولقد جاء في المأثور من الدعاء: "يا من يسمع أنين الواهنين" (٢) بمعنى أن الخالق العظيم ذا الكبرياء والجبروت أقرب الى ذلك الإنسان الواهن الذي يغفل عنه الجميع. فالله هو الأقرب الى الانسان من حبل الوريد، وهو صاحب الضيافة الكبرى على مر العمر والتاريخ.

فلندعو الله تبارك وتعالى بالأدعية الصالحة والمناسبة لمقام الحج -وعرفات على وجه الخصوص- لاسيّما دعاء عرفة للامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام، ولنتذكر وقوفه وباقي أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذه الارض ودموعهم تجري تضرعاً الى الله تعالى. نستذكر تلكم اللحظات متأكدين بأنهم يؤمنون على دعوات شيعتهم، وهذا بحق هو النعمة الكبرى والفوز العظيم.

---

(١) بحار الانوار/ج٨٧/ص٥٣.

(٢) المصدر/ج٩١/ص٣٩٢.

ولادة جديدة:

ثمة امور وتوجهات ينبغي أن نوليها الأهمية الكبيرة، لننتهي الى النتيجة المطلوبة من اداء مناسك الحج وبالذات الوقوف في عرفات؛ ومنها:

أولاً: أن نؤصّل ونرسخ الاعتقاد بأنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا اليوم وهذه الساعات المحور الزمني لحركة الانسان في المستقبل القريب والبعيد، والى ذلك يشير حديث الامام الصادق عليه السلام الذي قال فيه : " أعظم الناس ذنباً من طاف بهذا البيت ووقف هذا الموقف - عرفات- ثم ظنّ أنّ الله لم يغفر له ". أوَ ترى - يا أخي الحاج والطائف بالبيت والواقف في عرفات - أن اليأس من روح الله عنوان الكفر به؟ فلا ينبغي لأحد منّا أن يكون في قلبه شيء من الشكّ برحمة الله وغفرانه وتوبته على عباده ، ولو جزء من المليون، فالوقوف في عرفات إنما هو ولادة جديدة للانسان في تقدير الاله الجبار، ولاشك في ذلك بمثابة الاعتراض على إرادة الله جل جلاله.

ثانياً: أن نتوجه الى محتويات ومفاهيم الأدعية التي نقرؤها في هذه الايام توجهاً واعياً يتناسب ومستوى المضامين التي تحتوي عليها، ويتناسب مع ما هو مطلوب من طموح وهدف، وهو الرحمة والغفران الذي ينتهي بالمرء الى تحقق ولادته الجديدة.

ثالثاً: أن نفكر ونطمح الى إحراز الباقيات الصالحات، وأعظمها الذرية الصالحة. فأن ينشئ الانسان مدرسة أو مسجداً أو مطبّاً أو معملاً يوقفه

لخدمة المسلمين، فذاك أمر عظيم. ولكن الأعظم منه أن يربي الوالد والوالدة أطفالهما وفق النهج الديني، ويحضوهم ضد الوساوس الشيطانية والانحراف الفكرية والعملية.. فما هذه البرامج الفاسدة والمفسدة والتربية غير الاخلاقية التي تبثعبر أجهزة التلفاز والقنوات القضائية.. ليس إلاّ ذئاب تحاصر براعمنا وشبابنا من كل صوب وجهة. واذا لم تتمّ برمجة التربية بشكل واعٍ وعلمي تفوق ما يقابلها من برامج الانحراف، فان الجيل الجديد سيظل تحت مطرقة الشيطان حتى آخر رمق لديه.

ولقد سعدت الى حدّ التعجب.. حينما رأيت في هذا الموسم (١) مجاميع الشباب والاشبال وهم يؤدون مناسك الحجّ بكل براءة ونزاهة ووعي. وحينما سألتهم فيما سيحجّون في السنة المقبلة، فأعربوا عن رغبتهم الأكيدة في الوفود الى بيت الله الحرام. ولعل تعميق هذه الروح المؤمنة لدى جيلنا الجديد هو ما يجسد بحقّ الحصن الحصين ضد الانحراف والتيه في صحاري الجاهلية القاحلة.

ولكن حينما تقع الفرقة بين الوالدين وبين أولادهم سيكون المجتمع برمته في معرض الانحلال، وسيدفع الجميع الثمن غالياً. وهذا ما يدعونا الى التعامل مع هذه القضية تعاملاً واعياً.

ولقد أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلقين شابٍ من الانصار كان يحتضر، فأحصر الشاب و لم يسعه التفوه بالشهادتين، حتى

---

(١) موسم الحج عام ١٤١٨هـ .

سأل الرسول الأكرم أصحابه عما إذا كان لهذا الشاب أمّاً أو أباً، فلما جاءت والدته، سألها: آأنتِ راضية عن ولدك؟ فقالت: لا يا رسول الله، مؤكدة أنها لن ترضى عنه أبداً رغم عجزه المطلق عن أداء الشهادتين، فما كان من النبي عليه الصلاة والسلام إلاّ أن أمر بجمع الحطب واضرام النار، فتعجبت لذلك المرأة متسائلة عما سيلحق ذلك، فقال النبي: اريد حرق الشابّ فقالت المرأة: وكيف تحرقه وهو ابني؟ فأجاب الرسول الاكرم: أحرقه لأنك غير راضية عنه... فأعلنت الام رضاها عن ابنها، وعند ذلك قال لها الرسول الاكرم - موصياً جميع الأباء والامهات على مرّ العصور وفي مختلف الظروف-: يا أمة الله: إنّ نار الآخرة أشدّ من نار الدنيا، ثم انطلق لسان الشاب المحتضر باعلان الشهادتين، ثم مات مغفوراً له.

ايها الاخوة والاخوات في الله؛ نحن وإياكم محكومون بالموت والفناء، ولكن الذي يبقى لنا ونبقى له هو ما نبذله من جهود في إطار بث الوعي وتكريس الأخلاق الحميدة على صعيد الحركة الاجتماعية والتاريخية. وما أروع أن تكون هذه الجهود منصبة في اطار توعيه الجيل القادم، الذي ينبغي أن يكون الحامل للواء الصلاح والمعروف والنهضة.

ومن طريف ما يذكر في هذا المجال أن والدة الشيخ مرتضى الأنصاري حينما أخبرت بتصدي ولدها لأمور المرجعية العليا، لم تظهر أي تعجب لذلك. وحينما سألت عن عدم تعجبها، قالت: أنني ما أرضعت ابني إلاّ

وكنت على طهارة...

فيا أيتها الاخت المؤمنة ؛ ليكـن تفكـيرك منصباً علـى أنـك ستقدمين جيـلاً الى المجتمـع، وليكـن كـل اهتمـامك مختصـاً بتعلـم اصـــول التربيــة الصحيحة المقامة على الاسس الاخلاقية الواعية، دون ما نرى مـن بعـض الأمهات اللاتي تقتصر حياتهن علـى تهيئة الطعـام ومـا أشبه ذلـك مـن الأعمال التي لا تسدّ الى جانباً صغيراً من شؤون الأطفــال والعائلـة. ففـي ذلك إهانة كبرى توجهها الأم لنفسها من حيث تعلم أو لا تعلـم، فضـلاً عن الخطر الكبير الذي يحيق بالاولاد إذا ما اقتصرت الأم على ذلك.

ولقد نرى أو نسمع عن أمهات تشاغل أولادها الصغـار بعـرض أفـلام الصور المتحركة أو أشـرطة الأغـاني والموسيقى، فيمـا هـي تنجـز طهـي الطعام.. وهذا هو عين الموبقة، لانه يقود الاولاد الى طريق الانحراف عـبر مشاهدة الكثير من المفاسد التي تحويها الافلام الاجنبية.

نحن هنـا في عرفات يجب أن نرســم صـورة واضحـة وطريقـاً مستقيماً لحياتنا في الدنيا والآخرة، والى ذلك يقـول رب العزة: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (البقرة/١٩٧). واعداد الجيل وفق الاصول القرآنية هو عين التقوى، وتبرئة الذمة، وأداء الواجب السماوي.

رابعاً: أن نلحّ على الله تعالى في دعواتنا على ما ألحّ عليه الامام الحسين عليه السـلام ، وهـو عتـق رقابنـا مـن النـار. ولنقــرأ الدعـاء الـذي ورد استحبـاب قراءتــه في المشعـر الحرام وهــو : " ربّنا آتنـا في الدنيـا حسـنة

- الرغبة في الحياة الطيبة مـن جميـع الجهـات - وفي الآخـرة حسنة وقنـا عذاب النار".

ويصف الامام عليه السلام العتق من النار بقوله الشريف: "حاجتي التي إن أعطيتنيهـا لم يضرّنـي إن منعت غيرهـا، وإن منعتنيهـا لا ينفعـني مـا أعطيتني غيرها... أن تعتق رقبتي من النار".

فهذه آيات ا لله تبارك وتعالى تحيط بنا من كل جانب، ومن ينساها أو يتناساها سوف يتعرض الى إعـراض ا لله عنـه نسيانه لـه. وهـذه عرفـات المقدسة امامنا لنتخذهـا موقـع تذكـر لآيـات ا لله، وهـذه السـماء مفتّحـة الأبـواب، وهـذه ملائكـة ا لله تبشـر المؤمنـين الصـادقين بالتوبـة والرحمـة والغفران.

فلا تفوتنا لحظة التغيير هذه، فانها فرصة قد لا تعود ابـداً.

علاج مشاكل الأمة

ترى هل لهذا التمزق الذي تعيشه الامة الاسلامية من علاج ، واين القرآن وبصائره الرشيدة من هذا الواقع المرير الذي يعيشه ابناء القرآن ، وتعيشه تلك الامة التي صنعها الوحي ، وصاغها الرسول صلى الله عليه وآله، ورعاها الائمة الهداة عليهم السلام؟ واذا كانت هذه الامة هي خير امة اخرجت للناس، فهل من الخير ان يتقاتل ابناؤها ويتمزقوا ؟

اين نحن من الأمة القرآنية :

من المعروف ان الخير يعني السلام والامن والنمو الاقتصادي والديني، اما التقاتل والفقر؛ والمسكنة والتمزق والصراعات.. فان كل ذلك ليس من الخير في شيء. فلنتدارس هذا الامر؛ فالقرآن يبشرنا بخير امة اخرجت للناس ، وهذه الامة التي نعرفها ونسمع انباءها أبعد ما تكون عن المثل العليا التي بشّر بها القرآن الكريم، اذ يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة/٢) .

فاذا كانت هناك مسافة شاسعة تفصل بين هذه الامة ، وبين تلك الامة التي بشر بها القرآن، فكيف نستطيع ان نلغي هذه المسافة التي تفصل بين القرآن وواقع المسلمين ؟

الاستجابة لنداء الحج:

ونحن في كل عام نستقبل ايام الحج، حيث يتوافد الملايين من المسلمين من جميع اقطار الارض على بيت الله الحرام ليستجيبوا لنداء ابراهيم الخليل عليه السلام، حيث امره الله تعالى ان يؤذن في الناس بالحج ليبلغ الخالق نداءه الى اصلاب الرجال ، وارحام النساء الى يوم القيامة. ونحن الآن اذا نظرنا بعين البصيرة نجد ان الملايين من البشر يتهافتون على هذه البقعة المباركة وهم يرددون نداء التلبية الذي هو استجابة لنداء النبي ابراهيم، الذي يقول عنه عز وجل: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج/٢٧) ؛ اي اذن لجميع الناس بالحج، لان هذا البيت هو بيت الناس جميعا. فهو اول بيت وضع للناس، كل الناس .

ومعنى قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾ ؛ اي مشاة. فرغم ان الاراضي هناك قفراء، ذات جبال وعرة ، ومسالك صعبة.. ولكننا نرى بين الشعاب المنبثة، بين تلك الجبال اناساً يأتون مشاة او على الابل التي تغدو ضامرة وهزيلة بسبب وعورة الطرق ، والمسافات الشاسعة. وهذا من آلاء الله وآياته، اذ جعل تلك القلوب تهفو الى الحج .

المنفعة الكبرى للحج :

ترى لماذا جعل الله تعالى البيت الحرام مثابة للناس وامنا ، ولماذا اذن ابراهيم الخليل بالحج في الناس ؟ وهل هناك منفعة اعظم من ان يلملم المسلمون اطارفهم ، ويجمعوا شتاتهم ، ويغيروا واقعهم ؟

ان هذه المنفعة هي اصل المنافع. فلقد جعل الله سبحانه الحج في وقت واحد، كما يقول جل شأنه: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ (البقرة/١٩٧)

ونحن اذا قرأنا تروك الاحرام، نجد ان اهمها وابرزها تلك التي تخدم وحدة المسلمين . فتروك الاحرام الاصلية اربعة، هي : التفث اي الممارسة الجنسية بكل مقدماتها ، والجدال ، والفسوق ، والصيد كما جاء في آيات اخرى . اما بقية تروك الاحرام، فانها تنبثق كلها من تلك التروك الرئيسية؛ منها ترك الزينة. ففي الحج يستحب للانسان ان يكون اشعث اغبر.

كما حرم تعالى الفسوق ؛ اي ان يتفاخر انسان على آخر، ذلك لان الحج يجب ان يكون موضعاً يسقط فيه التفاخر والتعالي. فقد جاء في الحديث الشريف : " ليس لله منسك أحب إليه من السعي وذلك أنه يذلُّ فيه الجبارين" (١).

(١) فروع الكافي/ج٤/ص٤٣٤/ح٤.

ففي هذه المسيرة تسقط الاعتبارات والحواجز والانانيات.. لينعم الجميع بخيرات الحج.

وفي سورة المائدة وعندما يحدثنا القرآن عن شعائر من الهدي وعن القلائد، فانه يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ .

وبناء على ذلك فان الهدف من الحج ان نوحد طاقاتنا ، واذا ما وجدنا اليوم هذا التفتت ، واذا رأينا المسلم يقتل اخاه المسلم، فاننا سنجد علاج ذلك في الحج الذي هو المكان الذي يجب ان يتوافد اليه المسلمون جميعا ، ويوحدوا انفسهم ، ويلغوا الحواجز ليشهدوا منافع لهم. ومن اعظم هذه المنافع، منفعة الوحدة والتفاهم والتحبب والتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الاثم والعدوان .

الحج.. علاج مشاكل الأمة:

ترى كيف نستطيع ان نستخلص هذه الفائدة من الحج ؟

للاجابة على هذا السؤال الهام، نقول : اننا وبسبب التخلف ، والافكار التي يبثها الطغاة بيننا، لم نعرف الدين حق معرفته. في حين انه نظام الهي للبشرية يعالج كل مشاكلها. فهو ليس مجرد تجربة بين الانسان وربه كما يقول بذلك بعض الفلاسفة الغربيين الذين يرون ان الدين ما هو الاعلاقة قلبية بين الانسان وخالقه. وبالفعل فقد اثرت هذه النظرة علينا فانفصلت جميع مجالات حياتنا عن الدين، وخصوصاً المجال السياسي

والاقتصادي والاجتماعي.. فترى الواحد منا يرتكب الذنوب من مثل الكذب، في حين انه يستعظم على الآخرين ان يكذبوا عليه .

وهكذا فقد اصبح الدين العوبة في ايدينا ، فلم يعد ينفعنا. في حين ان الدين الذي امر الله به هو الدين الذي قال عنه نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (١) والذي قال عنه : " من اصبح ولا يهتم بامور المسلمين فليس بمسلم" (٢)، فالاحداث التي تجري في عالمنا الاسلامي يجب ان نهتم بها، وكأنها تقع في بلادنا. فعلينا ان نهتم بسائر المسلمين كما نهتم بعوائلنا ، ولنعتبر المجتمع الاسلامي الكبير عائلتنا، لان الدين يوصينا ان نوقر كبارنا ، ونرحم صغارنا .

وللاسف فان هذا الدين صار اليوم مهجوراً بيننا، وانا لا اخفي خشيتي من هذا الواقع المرير الذي نعيشه. ولذلك فان علينا ان نهتم جميعا بامور المسلمين، وان نبادر الى علاج المشاكل التي نعاني منها. فانا لست متأسفاً على الواقع الذي نعيشه، بقدر خشيتي من ان يكون دليلاً على غضب الله سبحانه وتعالى علينا. علماً ان غضبه - جلت قدرته- لا يقتصر على الدنيا فحسب، واننا سوف لا نتخلص منه بالموت، بل ان هناك حساباً عسيراً وراءنا. فكيف يمكن لنا ان نجيب ربنا بهذه التبريرات

---

(١) بحار الانوار /ج٧٢/ص٣٨.

(٢) المصدر/ج٧١/ص٣٣٧.

العجيبة الداعية الى الدعة والراحة ؟

انه تعالى شديد الحساب، وكتابه لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ احصاها، وإن كان ذنبنا يتمثل في ترك ركعتين من الصلاة؛ فكيف اذا كان هذا الذنب يتمثل في ترك نصر المظلومين؟

الميزان القرآني :

فلنزن انفسنا بميزان كتاب الله الذي انزل فرقانا ، ولنعرض انفسنا عليه. فهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، وهو نور وبصائر. فلنرجع اليه فهو العلاج الوحيد لمشاكلنا واوضاعنا المتردية، لا أن نعود الى مقاييس اخرى ، ولا ان نستند الى اهوائنا وافكارنا.

وهكذا فاننا اذا نظرنا الى الدين كمنهاج حياة وبصيرة ، واخذناه من القرآن واحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام وكلمات فقهائنا ، لاختلفت اوضاعنا ، ولاختلف حجنا ، ولما اصبح هذا الحج ماديا ينبغي من ورائه شراء السلع واقتناء الهدايا دون ان نراعي الحرمة العظيمة لهذه الشعيرة الالهية الكبرى ، ولاتشغلنا عن تزكية انفسنا ، واستغلال شعائر الحج في تهذيب اخلاقنا ، ولأبدينا اهتمامنا بامور المسلمين ، وتذاكرنا في احوالهم ، وسأل بعضنا البعض الاحداث التي تجري في بلاده وسبل معالجتها ، واسلوب النهوض بالمسلمين..

إلاّ اننا - للاسف الشديد - نتصور ان الدين ما هو إلاّ طقوس وشعائر، علينا ان نؤديها دون ان تؤثر فينا ، وتغير سلوكنا . في حين ان

الدين هو صبغة الله؛ اي ان حياتنا يجب ان تصطبغ بالتوحيد بجميع ابعاده، وبصبغة الايمان . وهذا هو الدين الحق ، لا الدين الذي ننظر اليه نظرة تجزيئية ، ونفصل جوانبه عن بعضها .

وبناء على ذلك فان هذه الأمة يجب ان تتحول الى تلك الأمة التي بشّر الله تعالى بها عباده قائلاً: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران/١١٠)، والسبب في تفضيل هذه الامة على غيرها، هو انها تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر.

فهو - جل وعلا - لايجعل مقياس التفضيل الصلاة - مثلاً -، بل ان الشعور الجماعي هو الذي من شأنه ان يجعل المسلمين خير أمة اخرجت للناس، لا أن يأتي احدنا الى الحج ويده ملطخة بدماء اخوانه المسلمين ، وقلبه مشحون بالاحقاد والعداوات والبغضاء..

فمن المعلوم ان الله عز وجل لا يمكن ان يتقبل حج مثل هذا الانسان الذي لم يلتزم بالشرط الاكثر اهمية في الحج، ألا وهو الاتحاد ، والتكاتف، والاهتمام بأمور المسلمين ، والتعاطف ، والتكافل معهم .

دعوة للتطوير الحضاري

في كل عام نستقبل الايام العشرة الاولى من شهر ذي الحجة الحرام ، هذه الايام التي تتميز عن سائر ايام السنة بميزات عبادية ايمانية يتقرب بها المؤمنون الى ربهم؛ نستقبلها وقلوب المؤمنين في كل ارجاء العالم تخفق ولها الى البيت الحرام ، والمشعر الحرام..

والمسلمون الذين سبق وان ادوا فريضة الحج ، او البعض ممن يهوون الذهاب للحج الا ان الموانع المختلفة اعاقتهم؛ كل هؤلاء يشعرون في هذه الايام انهم قد فقدوا شيئاً ما يجعلهم يحسون بالفراغ المؤلم ، لان من الجدير بالانسان في هذه الايام ان يكون الى جوار بيت الله مع الطائفين والمصلين والركع السجود .

ومع ذلك فان الذي يثلج صدور هؤلاء المؤمنين، ان اخوانهم المؤمنين الآخرين الذين يفدون الى بيت الله من كل سهل وواد؛ هؤلاء هم الذي يمثلونهم، لان سائر شخصيات المؤمنين تتماثل في قلوب حجيج بيت الله

تبارك وتعالى. فهم الوفود ، وكل منهم يمثل اسرته ، وعشيرته ، وقريته ، وبلده..

ضرورة معرفة منافع الحج :

وللحج منافع جمة يستفيد منها الحجاج وغيرهم من الذين لم تتح لهم فرصة الحج. ومن المعلوم ان المنفعة لا يمكن الاستفادة منها دون معرفتها، فاذا لم نعرفها فان الفرصة ستفوتنا ، وخصوصاً هذه الفرص الكبرى التي هي ارصدة الله تعالى لنا ، والتي لابد ان نبدلها من حالة القوة والامكان والاحتمال الى حالة الفعل والواقعية والتحقق .

وقد اشار سبحانه وتعالى الى هذه المنافع في الآية الكريمة: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ (الحج/٢٨).

وهذه المنافع مشتركة بين الحجاج وبين المسلمين الآخرين في كافة الاقطار ممن لم يوفقوا لاداء هذه الفريضة الالهية.

ومن المعلوم ان رصيد المسلمين من شعائر الدين كبير ، الا ان استفادتهم منها قليلة. وعلى سبيل المثال فان الصلاة – هذه الشعيرة الالهية المثلى التي هي افضل اعمال امة النبي محمد صلى الله عليه وآله – تحمل في طياتها امكانيات لاتعد ولا تحصى. فهي باستطاعتها ان تحمل البشرية الى حيث السعادة في الدنيا ، والفلاح في الآخرة . فهي معراج الانسان الى الله عز وجل، وقربان كل تقي يتقرب بها الى الباري ....

ومع ذلك فان انتفاعنا من هذه الصلاة ضئيل. فما هـي إلاّ عـادة ورثناهـا من آبائنا السابقين ، ونحن بدورنا نوصلهـا الى الاجيـال اللاحقـة دون ان نستفيد من حكمها وفوائدها. وهكذا الحـال بالنسبة الى سـائر العبـادات الاسلامية.

الحج قمة الشعائر الايمانية :

والحج يقع في قمـة الشـعائر الايمانيـة الـتي جعلهـا الله سبحانه خلاصـاً للانسان من كل غل وقيد وشقاء وعذاب. وللاسف فان الأمة الاسلامية لم تعرف بعد كيفية التعامل بحكمة مع هذه الشعيرة الالهية الـتي توفـر لنـا المزيد من الفوائد والمنافع ، بل اننا ربمـا لا نحقـق من فوائـد الحـج سـوى واحد بالالف، اما الباقي فنحن غـافلون عنـه بسـبب قلـة وعينـا ، وعـدم معرفتنا بمداخل الحج ومخارجـه ، وآداب التعـامل مـع هـذه الفريضـة الـتي اوجبها الله تعالى علينا .

وفي هذا المجال قال ربنا عز وجل لنبيه ابراهيم عليه السلام عندمـا بنـى الكعبة ، وامره بدعوة الناس الى الحج : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ (الحج/٢٧) . فما كان من ابراهيم الخليل عليه السلام إلاّ ان صعد الجبـل ونادى في الناس، وحثهم على الحج. علماً ان الحياة لم تكـن موجـودة في ارض مكـة الجـرداء ، ولكـن الله حمـل كـلام نبيـه الخليـل الى كـل اذن واعيـة، وها هي ذي السـنون والعصـور تمـر و تتـوالى ، ووفـود الرحمـان تتقاطر الى بيت الله بكل لهفـة واشتيـاق ، يتجـاوزون كل الصعـاب،

ويركبون الاخطار في سبيل ان يصلوا الى بيت الله الحرام .

تكريس حالة الخضوع للخالق :

ثم يقول تعالى : ﴿ ... يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج/٢٧).

فمن جملة آداب الحج استحباب المشيء ، وقد فضّل الله تعالى الحج مشياً على الركوب ، الامر الذي يدل على ان المشيء طريق التذلل والخضوع لله .

وفي هذا المجال يروى ان الامام السجاد عليه السلام كان يمشي الى الحج على قدميه الحافيتين متخطياً اشواك الصحاري ورمالها الحارقة، وصخور المرتفعات ووعورة الطريق.. وكان عليه السلام يضيف الى ذلك عملاً آخر باختياره القوافل التي تأتي من البلاد البعيدة والتي لا تعرفه، لكي يقوم بخدمتها . فيختار -مثلاً- قوافل أهل الكوفة ، وفي ذات مرة التقت قافلة اهل العراق مع قافلة اهل المدينة في الطريق، فتحلق أهل المدينة على الامام يستفيدون من علمه ومعارفه ، ويتبركون به ، ويسألونه الدعاء.. فتعجب أهل الكوفة وقالوا : من الرجل ؟ فقال أهل المدينة : انه الامام علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب . فقالوا : لقد كنا نتعامل معه كأحدنا ، بل كنا نأمره باعتباره غريباً مجهولاً وهو يطيع ذلك . ولما حدث ذلك أمر الامام اصحابه بنقل متاعه الى قافلة اخرى، فجاء أهل الكوفة يسألونه البقاء معهم، فقال عليه السلام لهم : سأرحل

عنكم لانكم عرفتموني ، واني اكره ان اكون مع قافلة تعرفني .

ان هذه الرواية تدل بوضوح على ان الحج ينبغي ان يوجد حالة التذلل الى ا لله جل وعلا عند الانسان ليوصلها بسائر حياته . فالامام الصادق عليه السلام يقول في هذا الصدد : " ما من بقعة أحب الى ا لله تعالى من المسعى لانه يذل فيها كل جبار" (١).

وفلسفة الحج هذه تتجاوز الى سائر الاحكام الشرعية، لان حالة الخضوع والتذلل للخالق عز وجل إنما هي مطلوبة .

ومن حكم الحج والعلل التي بسببها فرضه ا لله سبحانه على المسلمين ذوبان المجتمع الاسلامي في ذاته ليخلق واقعاً جديداً ؛ فمسلموا آسيا يلتقون مع مسلمي اوروبا ، والسود يلتقون مع البيض .. وهم جميعاً يتبادلون الآراء حول اوضاعهم ، ويجددون عهدهم مع ا لله تبارك اسمه للقيام باوامره ، وترك نواهيه . والحجاج ينتفعون من كل هذه اللقاءات في سبيل الهدف الأعلى ، وهو الامتثال لله سبحانه ، وتنفيذ جميع أوامره .

مجالات منافع الحج :

ان هذا النموذج البشري الذي ينحدر على الديار المقدسة ، من شأنه ان ينفع المسلمين في عدة مجالات هي :

---

(١) فروع الكافي/ج٤/ص٤٣٤/ح٣.

١- الاحساس بالشخصية والكيان .

فعلى الرغم من ان الانسان قد اوتي عقـلاً وفكـراً ، إلاّ أن الكثير من الناس نجد ان عقولهم وقلوبهم في عيونهم. فـاذا تم تحشـدهم لتأديـة عمـل ما، فانهم لايحسون بانفسـهم ولكـن تصور وجـود امـة مسـلمة سـوف يتحول في الحج الى واقع عيني ماثل امامهم .

٢- ايجاد تموج فكري .

والتموج البشري في الحج سوف يحدث في الامة تموجاً فكرياً ، وهـذا ما تؤكد عليه الاحاديث الشريفة التي تقول: " اعقل الناس من جمع عقول الناس الى عقله " و " اعلم الناس من جمع علوم الناس الى علمـه" و " من شـاور الرجـال شـاركها في عقولها " (١).. فكيــف اذا داور الحجـاج نقاشاتهم وبحوثهم في هذا المؤتمر العظيم حول قضايـا الامـة ، وخصوصـاً ان اكـثر القيـادات الاسـلامية تهــوي الى الحــج بغيــة ارشــاد النــاس ، وتوجيههم لما فيه حسن العاقبـة ؟ وبالاضافـة الى ذلـك فـان هـذا الملتقى البشري سوف يسهم في ايجاد رابطة فكرية قوية تقدم للامة حلولاً ناجعة و مثمرة لكل مشاكلهم التي يعانون منها .

٣- بناء الكيان الروحي .

فالتموج الانساني المحتشد في الحج يفرز روحاً هائلـة يهديهـا الى كل

---

(١) بحار الانوار/ج٧٢/ص١٠٤.

حاج استطاع الاستفادة من احكام الحج. فالانسان المسلم حينما يجد سائر المسلمين منهمكين في العبادة، فانه يندفع ذاتياً الى التبتل. فعلى سبيل المثال عندما تقام الصلاة جماعة فانما تكون أشد أثراً ، وابلغ وانفذ في النفس من جميع النواحي .

٤- التموج الحضاري .

فالفوارق العرقية والقومية والطبقية يسقط اعتبارها في الحج لتعطي للحجاج دروساً في الوحدة الحقيقية بين المسلمين. وحينئذ تنصهر جميع النفوس والطاقات في بوتقة التوحيد .

وعلى المسلمين كافة ان يجسدوا هذه الفوائد في واقعهم الملموس، لكي لاتقتصر فوائد الحج على جماعات معينة. ومن اجل تحقيق استفادة مثلى من الحج، على المسلمين ان يلتقوا بممثليهم ووفودهم الى الحج ليستطلعوا اخبار الأمة الاسلامية. وهذا ما تؤكده الاحاديث التي حثت على زيارة الحاج كالحديث الشريف الذي يقول :" من زار زائرنا كان كمن زارنا ".

هل نحن في مستوى هدف الرسالة :

وفي كل سنة تطل علينا فيها ايام الحج المباركة، لابد من تذكر حقيقة هامة، وهي ان الرسالة الاسلامية التي بعثها خالق الارض والسماء الى البشر انما جاءت لتقضي على كل الوان الشقاء والعناء والآلام التي يعاني منها البشر ، ولكن علينا ان نسأل انفسنا بجدية : ترى هل تجسد هذا

الهدف على واقع المسلمين اليوم ؟

بالطبع لا ، لان المآسي تتعمق وتزداد عند الذين يدعون انتماءهم الى الدين. فقائمة الدول الاكثر فقرا وتخلفا تبتدئ بالبلدان الاسلامية. والحركات الاسلامية يمكنها ان تلقي بسيل التهم على الحكام الظلمة والطواغيت في تخلف المسلمين. وهذا صحيح لانهم رمز الفساد، بل اكبر عامل في تكريس تخلف الأمة وتبعيتها. ولكن هل هذا يعني ان يتملص الانسان المسلم ان تكليفه الشرعي ؟

كلا بالطبع ، لان المسؤولية ليست ملقاة على عاتق الطغاة فحسب ، وانما للمجتمع قسط وافر من مسؤولية ايجاد التخلف. والقرآن الكريم عندما يبين لنا فساد الحكم السياسي ، وكيفية ظهور الحكومات والانظمة الظالمة ، يوجه المسؤولية الى المجتمع ايضاً . نلاحظ ذلك في قوله سبحانه:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (الاسراء/١٦).

وهذا يعني ان الفاسقين هم الذين تسلموا زمام السلطة السياسية ، واوصلوا البلاد الى حالة الدمار. والله تبارك وتعالى انما سمح لهؤلاء المترفين ان يصبحوا امراء هذه القرية، التي تعني المنطقة التي يعيش فيها الانسان ايا كانت ، لانه اراد ان ينتقم من اهل هذه القرية لفسقهم ، وخروجهم عن تعاليم الدين. ولذلك قيل: " كما تكونون يولى عليكم".

فالحكومات هي اساس الفساد، ولكنها ليست كل الفساد، لان هذا الفساد يضرب بجذوره في ارض المجتمع اولا ثم ينمو ليتجسد في النظام السياسي .

وعلى هذا الاساس فان السبب الرئيس في تخلف الأمة، هو فقدان الروح الحقيقية للاسلام ، والتعويض عنها بالقشور السطحية. وبمعنى آخر؛ فاننا قد أفرغنا التعاليم الاسلامية من اهدافها وحكمها وحقائقها، ظانين ان تلك القشور قد تسقط التكليف الشرعي عنا. في حين ان الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة/٢٧).

الامتثال للقيادة من مقتضيات الحج :

فالحج لايمكن ان يتقبل الا من الانسان المتقي، لان الحج عندما يتحول الى عنوان وشعار للانسان دون معرفة الدوافع والفوائد الحقيقية له، سوف يعطي منفعة قليلة ، في حين ان معرفة احكام الحج وعلله من شأنها ان تزود الانسان بمنافع كثيرة. وعلى سبيل المثال فان الله عز وجل يذكر جانباً من فوائد الحج في قوله : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج/٢٩).

وكلمة " تفث " انما تعني الامام المعصوم عليه السلام والقيامة الشرعية في زمن الغيبة. وهذا يعني ان الحج لا يمكن ان يقبل دون ان ينتمي الانسان المسلم الى الامام ، ويأخذ التعاليم الرسالية منه ، ثم يبدأ ببث وصاياه ، وارشاداته في اصقاع الارض لنشر افكار القيادة الرسالية .

وبناء على ذلك فان الحج الذي يتضمن الالتقاء بالقيادة الرسالية ، ومن ثم نشر افكارها ومبادئها، والحج الذي يبعث في نفوس المسلمين روح النهضة، واجتناب الرجس وقول الزور.. هذا الحج هو الذي ينفع الناس، ويرفع المشاكل والآلام عن الأمة الاسلامية. واذا كان الحج في هذا الاطار، فانه سيكون حجاً حقيقياً ونافعاً.

الاسلام دين الحضارة :

ومن المعلوم ان الاسلام هو دين الحضارة، حيث يربي الانسان على التضحية والعمل والجدية والتفكير المنهجي.. ونحن اذا فقدنا هذه القيم في واقعنا، فاننا سوف لن نصل الى ما نصبو اليه. اما اذا تحول الاسلام في واقع الامة الى هذه القيم، وخصوصاً عند ابناء الحركة الاسلامية والطليعة الذين يجب ان يكونوا الانموذج الذي يقتدى به في التقنية وسائر الاعمال والمجالات الاخرى، فاننا سنستطيع - دون ريب - ان نحقق اهدافنا وطموحاتنا الحضارية والرسالية .

ولذلك ينبغي ترسيخ هذه القيم الحضارية في الامة من خلال التأكيد على الفرائض والشعائر الاسلامية التي يقف الحج في مقدمتها ، والذي يدعونا الى فهم الاسلام من جديد ، وربطه بواقع الامة من خلال تجميع الطاقات وصهر القدرات في بوتقة التوحيد، لان ذكر الله تعالى يجعل الانسان في مستوى حضاري متقدم. فهو يدفعه الى ان يرتفع على اهوائه وشهواته، ومن ثم السيطرة على الحياة وتحقيق التقدم فيها.

نموذج الحضارة الاسلامية

لقد رسم لنا القرآن الكريم معالم حضارية سامية، قوامها رفض الشرك با لله العظيم، والنهي عن الظلم، ومنع الاعتداء، والوقوف بوجه استعباد الناس من قبل بعضهم البعض..

هذه الحضارة التي بشر بها الاسلام، لا تزال حلماً يتمناه كل انسان. على الرغم من ان الموجة التي احدثتها رسالة السماء في اول انطلاقتها، وفي فجر بعثتها؛ هذه الموجة اعطت البشرية المزيد من التقدم والرقي والتكامل في مختلف ابعاد حياتها.

فيا ترى اين هذه الحضارة، وهل يمكن ان تتحقق مرة اخرى؟

بادئ ذي بدء؛ لا يصح القول ان هذه الحضارة مستحيلة التحقق. لماذا؟

لانها لو كانت مستحيلة فعلا لما بشر بها الاسلام، وما خلدها القرآن في آياته، وما اعلن عنها رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله لأجيال

المسلمين. وفي هذا برهان كاف لإمكانية عودة هذه الحضارة من جديد، اذا ما توفرت شروطها في أي عصر واي مصر.

الحضارة الاسلامية افق بعيد:

ونظرتنا للحضارة الاسلامية يجب ان لا تتأطر بحدودها التاريخية، او تجاربها المعاصرة. فمن الخطأ ان نحاول وضع ما جرى في التاريخ الاسلامي الاول موضع تطبيق كامل للاسلام، او القول بان النموذج الكذائي الذي كان في الفترة الكذائية في التاريخ او النموذج المعاصر لنا هنا او هناك هو النموذج الذي بشر به الاسلام. لماذا؟

لانه يسلب الابداع من الانسان، ويعرقل حركته، مما لا يدعه يعمل من اجل المستقبل.

في حين ان الحضارة التي بشر بها الاسلام، انما هي افق عظيم وبعيد وعال، وهذا الافق لابد لنا ان نتحرك نحوه، وان نحصل منه على ما نستطيعه.

التوحيد سنام حضارة الاسلام:

ومن ابرز ما في الاسلام، انه يريد للانسان ان يعبد الله تعالى وحده. وكل الانبياء عليهم السلام، انما بعثهم الله عز وجل لاجل تكريس هذه الحقيقية. وقد جعل ربنا التوحيد كلمة سواء بين الاديان السماوية، حيث قال جل وعلا: ﴿ قُلْ يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَيَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران/٦٤)

هذا المعلم الحضاري، انما يعني ان الناس كلهم سواسية في الخلق. وعليه لا يحق لاحد ان يعبد هذا او ذاك من الناس، اذ ان العبادة خاصة با لله تعالى.

من هنا فان العربي لا يحق له ان يستكبر على الاعجمي، والاعجمي لا يقبل منه ان يتفاخر على العربي. وذلك لان ا لله عز وجل خلق الناس كأسنان المشط، سواء كانوا اتراك او هنود او افغان او روس او .. وقد قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : " - الناس- صنفان : اما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق". (١)

فان لم يكن أي انسان اخ لك في الدين، فهو نظير لك في الخلق، حيث له عينان ولسان وشفتان.. وله مثلما لك من تطلعات واهداف وطموحات.

الى هذا وامثاله تدعو حضارة الاسلام.

الحج نموذج الحضارة:

والحج من ابرز تجليات الحضارة الاسلامية، اذ جعل ا لله جل وعلا البيت الحرام نموذجاً لتحقيق التطلع الاسمى لهذه الحضارة.

وبهذا اراد الاسلام ان يجعل للبشرية قدوة ومثالاً وطريقاً لكي يرجعوا

---

(١) نهج البلاغة/ الكتاب٥٣ .

اليه، حتى لا يقول احد بانه يستحيل ان تكون مثل هذه الحضارة فوق الارض. فحينما تذهب الى مكة المكرمة، وتطوف حول البيت الحرام، انظر الى من هم حولك في الطواف، حيث تجد الابيض والاسود، الغني والفقير، الكبير والصغير، العربي والاعجمي.. الكل يطوفون مع بعض حول ذلك البيت المكرم دون أي مائز يذكر.

وهذا المشهد العظيم يتكرر ايضاً في عرفات والمشعر الحرام ومنى، حيث تجد ملايين الناس بمختلف جنسياتهم والوانهم يجتمعون الى بعض لتأدية مراسيم فريضة الحج.

والى هذه الصورة الحضارية اشار الامام الحسين عليه السلام في دعائه في يوم عرفه، حيث قال: " يامن عجت اليه الاصوات بمختلف اللغات".

وعلى الرغم من ان هذا التجمع العظيم الذي ضم جنسيات متعددة، ولغات مختلفة.. يعطي صورة رائعة لحضارة الاسلام، عمد الاسلام الى ان يجعل حتى ثيابهم من نوع واحد خلال أداء مناسك الحج، والكل يردد نفس الكلمات: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.. وهم يتحركون باتجاهات موحدة.

هذا النموذج الحي يجعل الانسان يؤمن بكل وجوده بامكان تشكيل حضارة تجمع الناس كلهم، دون أي فوارق عرقية او طبقية او عنصرية..

مكة مركز الانتشار الحضاري:

لا شك ان ما يجري في مكة المكرمة او في وادي عرفات او المشعر

الحرام.. خلال ايام الحج، انما يعكس جزءاً صغيراً من مظاهر الحضارة الاسلامية، وفي هذا دليل كاف على امكانية ان تكون مكة المكرمة مركزاً للانتشار الحضاري في كل مكان.

وقد جاء في المأثور كما الحديث المروي عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام قال : " ان الله عز وجل دحى الأرض من تحت الكعبة". (١) وهذا يعني ان الله سبحانه دحى ونشر الارض من تحت مكة المكرمة. كيف هذا من الناحية الجيولوجية، لا اعرف. ولكن لا أشك في ان مكة المكرمة بأجواءها الروحانية، ومعالمها الرسالية تبعث بالأمل والايمان والتوحيد.. في نفوس الملايين من الناس. وقد تلمس هذا بوضوح من خلال توجه المسلمين اليها في اداء صلواتهم اين ما كانوا.

مكة من الحرمات الالهية :

وقد اولى الله تعالى مكة المكرمة مكانة خاصة، حتى جعلها من الحرمات تشريعياً وتكوينياً. فكل من يأتي اليها يتمتع بالأمن والسلامة، وكل من يعيش فيها يتمتع بالطمأنينة والاستقرار. لذلك تجد الناس يتوافدون عليها من اقطار الارض دون وجل. واذا سوّلت لاحد نفسه بالاعتداء على مكة، سرعان ما سينال جزاءه من الانتقام الالهي. وقد اخبرنا ربنا عز وجل بقصة اصحاب الفيل، حينما قادهم ابرهة ملك

(١) بحار الأنوار/ج٥٤/ص٢٠٣.

الحبشة ليهجم على مكة بقواته المدججة بالسلاح، وبفيلته المدربة على القتال.. ليمحي منها الكعبة المشرفة؛ مركز التوحيد ومعلم العبادة.. غير انهم قبل ان يدخلوا مكة معتدين عليها، ارسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فقضى عليهم اجمعين، والى ذلك اشار القرآن الكريم في سورة الفيل ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (الفيل/١-٥) وكل من حاول الاعتداء على مكة المكرمة لم تكن عاقبته على خير أبداً.

وفي حديثه عن مكة، قال ربنا جل جلاله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ .

والصد عن سبيل الله ابرزه واجلاه هو الصد عن مكة المكرمة، وبالذات عن المسجد الحرام. من هنا نجد الحكومات على اختلاف مشاربها ومذاهبها والوانها، لا تستطيع ان تمنع الناس من الحج، واذا ما اصدرت قراراً بمنع الحج، فانها لا تستمر طويلاً حتى تلغي ذلك المنع، لانه ليس بوسعها ان تمنع الحج دائماً.

ثم يؤكد القرآن على ان المسجد الحرام ليس لأهل مكة، ولا لمن يشرف على تلك الديار المقدسة سياسياً او اقتصادياً. كلا، انما هي لأهل

مكة وغير أهلها؛ انها لكل الناس.

ثم يقول ربنا عز وجل: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. فالذي يحارب مكة، ويؤذي حجاج بيت الله الحرام، فانه لابد له من ان يذوق العذاب الاليم.

بعد هذا، يقول ربنا جل وعلا: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾.

من خصوصيات هذا البيت، انه لا احد يحق له ان يتسلط على احد باسم اللغة او باسم المذهب او باسم القوم.. انه بيت الجميع. وعلى هذا يجدر بكل انسان يدخل مكة المكرمة ان يتجرد عن انتماءاته الجغرافية والسياسية والعرقية.. فلا يتعصب لأرض او لغة او قوم.. وانما يتوجه خالصاً لله رب العالمين. عند ذاك يشعر بانه عبد لله تعالى، فيدرك انسانيته، ويتحسس بروحانية التوحيد، فيعيش حياة الطهر.

ثم يقول ربنا سبحانه: ﴿ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً ﴾.

صحيح ان الشرك في كل مكان مرفوض، ولكن في هذا الموقع الشريف؛ مركز تجلي التوحيد، انما يكون الرفض للشرك احلى من كل مكان.

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ؛ أي ان البيت الحرام يجب ان يكون دائماً نظيفاً، طاهراً مطهراً.

حضارة الطهر:

من ابرز افكار الحضارة الاسلامية واولها، فكرة ان الارض لله تعالى لا لأحد غيره، وان الانسان عبداً لرب العزة لا لأحد غيره، وان العصبيات

والحميات والعنصريات.. كل هذه الحواجز يجب ان تذهب الى غير رجعة في حياة المسلم. ثم تؤكد على ضرورة الطهارة والنظافة، اذ ان الانسان يعيش مرحلتين؛ مرحلة الفطرة النقية، ومرحلة الحياة الملوثة. فأول ما يخرج الانسان من رحم امه، يخرج بفطرة طاهرة نقية، غير ان هذه الفطرة مع الزمن تتلوث بالمحيط، كما ان الجسد يتلوث بالمحيط. فيتجمع عليها غبار الحميات والذاتيات والمذهبيات.. وهذه بدورها تشكل حواجز تحول دون معرفة الحقائق، ومعرفة النفس، ومعرفة الدين. وبالتالي يصير الانسان في ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾ (النور/٤٠)

ولا سبيل لرجوع الانسان الى فطرته النقية، في روحه وفي عقله وايضاً في جسده، الا بالطهر. وقد جعل الله تعالى الحضور في وادي عرفات في عصر يوم التاسع من شهر ذي الحجة، فرصة للعودة الى الطهر من جديد، حيث يخاطب رب العزة كل من حضر هناك بلا استثناء: عبدي استأنف العمل، فقد غفرت لك ما سبق. عند ذلك يحصل الانسان على الطهر مائة بالمائة، فيستأنف العمل بكل صفاء ونقاء ..

حضارة الانفتاح:

ومن ابعاد الحضارة الاسلامية الاخرى؛ انها تريد الخير والبركة والرحمة للناس جميعاً، دون ان تقتصر في ذلك على من يؤيدها ويؤمن بها فقط .

من هنا حينما استقر النبي ابراهيم عليه السلام في مكة المشرفة ، وبنى

البيت، عند ذاك امره الله: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ .

فلم يفكر النبي ابراهيم عليه السلام في ان يحصر فضيلة الحج بالعرب فقط، ولا بأهل بابل الذين كان ينتسب اليهم، ولا لأهل مصر الذين مر عليهم، ولا لأهل كنعان حيث هاجر اليهم، ولم يخص بذلك اولاده وجماعته من العبريين والعرب، وانما دعا البشرية جمعاء الى اداء فريضة الحج ليحظوا بفضلها وكراماتها..

فالاسلام يرفض الانغلاق على الذات في اية قضية تعود بالنفع على الاخرين، لان حضارته للجميع. على عكس ما يفكر به الغربيون، اذ يتصورون ان كل ما توصلوا اليه من علوم ومعارف وتطور تكنلوجي.. انما هو حكر لهم، ولا يحق لأحد ان يمد عينيه الى تلك القضايا، لانها تعد من اسرارهم. وما يسوقونه اليوم الى هذا البلد او ذاك، انما هو من قديم علومهم ومتدنيات تكنلوجياتهم .. وهذا ايضاً لا يعطونه إلاّ مقابل مبالغ طائلة، وشروط قاسية..

حضارة متكاملة:

ولأن الاسلام يريد الخير للجميع، فهو يأخذ بأيدي الناس صوب التكامل المعنوي، كما ويأخذ بأيديهم صوب التكامل المادي. فالحضارة الاسلامية انما تنطلق ابتداءاً من الروحيات والمعنويات، ومن ثم تنتشر من افق المعنويات الى أفق الماديات. لذلك يقول ربنا عز وجل: ﴿ لِيَشْهَدُوا

مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ .

وبهيمة الانعام هذه انما هي مادة للأكل، ولأجل ان لا تحجب الانسان عن المعنويات اكد الله تعالى على ذكره في ايام معلومات واطعام البائس الفقير.

هذه هي بعض الابعاد المهمة في فريضة الحج، النموذج الحضاري الذي بشر به الدين الاسلامي. فأين نحن من هذا النموذج؟

لكي نجسد هذا النموذج في واقعنا، يجدر بنا ان نعيش روح الحج. فحينما يحضر احدنا في اماكن اداء مناسك الحج، يجدر به ان يتواجد في عمق الناس دون ان ينزوي عنهم، حتى تظهر عظمة اجتماع المسلمين الى بعضهم البعض، دون ان تجزءهم الاقليميات والقوميات، ودون ان تميزهم الالقاب والسمات.. فالكل يعيش في رحاب الاسلام بود واحترام، ومحبة ووئام.

نسأل الله تعالى ان يجعل حجنا وحج المسلمين جميعاً، حجاً اسلامياً كما اراد، وان يجعلنا في هذا العام من حجاج بيته الحرام، المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، انه ولي التوفيق.

الفهـرس